

تأملات ...

في طريق الدعوة

جولات في الزمان والمكان والتحديات

د. علي بن إبراهيم النملة

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

عضو مجلس الشورى

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

النملة، علي بن إبراهيم

تأملات في طريق الدعوة: جولات في الزمان والمكان
والتحديات.

ص...؛ سم...

ردمك ٩-١٦١-٢٠-٩٩٦٠

١- الدعوة الإسلامية ٢- السعودية- المقالات العربية أ- العنوان

١٦/٠٦٣٤

ديوي ٥٣١، ٠٨١

رقم الإيداع: ١٦/٠٦٣٤

ردمك ٩-١٦١-٢٠-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ/١٩٩٥م

حقوق الطبع محفوظة

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل - سواء التصويرية أم الإلكترونية أم الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها - دون إذن خطي من الناشر.

الناشر

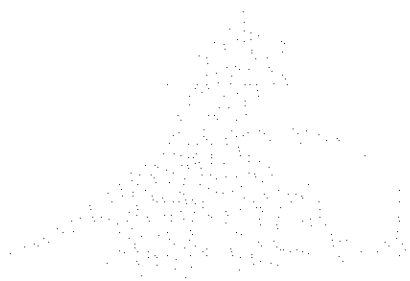
مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩





المحتويات

الإهداء	١١
تقديم	١١
أولاً: مع الزمان ..!!	١٥
على هامش العام المنصرم	١٧
١٤٠٩ هـ هذا العام الجديد ..!!	٢١
١٤١٠ هـ هذا العام الجديد	٢٦
عمر .. . والرشوة ..	٢٨
عمر .. . والتوراة ..	٢٩
العقد الثاني من القرن الخامس عشر!	٣١
تواريخ الأمم:	٣٢
التوقعات:	٣٤
سوء الفهم:	٣٦
ثانياً: تأملات ..!!	٣٧
تلاقح الحضارات .. . والحوار مع الآخرين ..!	٣٩
حكمة الجاهلين .. . وجهل المتعلمين ..!	٤٣
جهل المتعلمين ..!!	٤٥
الهارب من الجهل:	٤٥
الجاهلية النسبية:	٤٧
محطات وزن الأفكار ..!	٤٩
المخرجون من مدرسة رمضان	٥٤
مع الذين يستيقظون في الظلام!	٥٨
وقفه مع الباحثين عن الحقيقة ..	٦٣

٦٨	المتطيطرون . . ووقفه مع المتطيطرين !
٧١	الانتطار بالأرقام !
٧٥	عندما يموت الفنان !
٧٦	الفنان . . والحس :
٧٦	الفنان . . والشهرة :
٧٧	الفنان . . والموت :
٧٩	الفنان . . والإذاعة :
٨١	ثالثاً : في البلاد الإسلامية . . !!
٨٣	وقفه هادئة في فلسطين . . !
٨٥	اختلف الجنسيات :
٨٧	الهجرة المضادة :
٩٠	المفقودا !
٩٣	السودان . . سلة خبز العرب
٩٧	الحمية . . لو يشبعون
١٠١	الجوع لا حل بكم مكروه
١٠٣	والجوع في الجانب الآخر :
١٠٦	الاستعمار . . والتنصير والجوع :
١٠٧	موقفنا نحن من الجوع :
١٠٩	الندوة العالمية للشباب الإسلامي
١١١	النشرات :
١١٢	المؤتمرات :
١١٣	الجيل المعاصر :
١١٤	مأساة الإغاةة . . !!
١١٧	المجزرة في يوغسلافيا
١٢٣	يوغوسلافيا . . يا أخت الأندلس . . !
١٢٧	البوسنة والهرسك . . !!
١٢٩	السنگال . . والحساسية العرقية

١٣١ مخيمات .. ومخيمات
١٣٥ رابعاً: بين الأقليات والجاليات
١٣٧ مخيمات النور
١٤٢ لا عيد في ميروت !! ..
١٤٤ كاهانا يهدد .. !
١٤٧ الجاليات في المجتمعات المسلمة .. !!
١٥٠ هيئة الأقليات المسلمة .. !!
١٥٣ عقيدة الأقليات المسلمة
١٥٨ عمر .. يجمع أهل بئر ..
١٦٢ فئات أخرى
١٦٣ منهجان في الفتيا
١٦٤ الأقليات المسلمة .. والمعدومون .. !
١٦٩ الأقليات المسلمة .. صور غير خاصة !
١٧٠ ضياع الوالد والمولود !
١٧٤ العمل الإسلامي في «الشمال والجنوب» !
١٧٨ «الفاروقي» .. رجل فقدته القضية
١٧٨ قصة مقتله :
١٨١ صناعة السينما :
١٨٤ كتاب في الحضيض والعمال الأجانب في ألمانيا !!
١٨٩ لو مشى ربيعي بن عامر في أوروبا .. !
١٩٣ في أمريكا يدخل الإسلام السجون
١٩٤ الظاهرة الجديدة :
١٩٨ الموريسكولوجيا .. والامتحان الصعب !
٢٠٢ أذان المغرب .. في أمريكا
٢٠٣ الجلوس مع الأولاد :
٢٠٥ البث المباشر :

٢٠٧	خامساً: في التنصير
٢٠٩	زمزم .. في كليفلاند!!
٢١٠	زمزم:
٢١١	ابني الصغيرة:
٢١٢	النتيجة:
٢١٤	بين اليتامى .. والأيتامى ..
٢١٨	اليتامى .. والتنصير!
٢٢١	التنصير واليتامى:
٢٢٣	التنصير .. مرة أخرى
٢٢٥	المستشرقون:
٢٢٦	مستقبل التنصير:
٢٢٧	التنصير في أوروبا:
٢٢٩	المنصرون «و» اليهود! ..
٢٣٠	النزاع القديم:
٢٣١	تنصير اليهود:
٢٣٣	دافع للتنصير
٢٣٤	مدى الوعي:
٢٣٦	من التنصير .. إلى الدعوة إلى الله ..!!
٢٤٠	الثلاثية .. والتثليث! ..
٢٤٥	.. وفي إفريقيا يبشرون بالخير

الوقوفات

إلى أولئك الذين يدعون إلى الله على
بصيرة، فيصبرون، ويحلمون،
ويرفقون، ويواصلون، إلى الدعاة إلى الله
الذين عرفوا طريق الدعوة فسلكوه، أقدم
هذه الوقفات



تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على عبده ورسوله وإمام الدعوة محمد ابن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد.

فهذه وقفات صحفية في طريق الدعوة، هيا الله تعالى لي أن أقفها على مدى عشرة أعوام، بدأت في شوال من عام ١٤٠٤ هـ، وشملت مجموعة من الصحف السعودية والعربية، تأتي في مقدمتها صحيفة الجزيرة السعودية التي تعد انطلاقة هذا القلم إلى عالم الكتابة في موضوعات شتى دعوية وعلمية واجتماعية ومحلية وتخصصية، جمعتها حسب موضوعاتها ونشرتها منفصلة عن بعضها، رغبة في تعميم الفائدة التي أرجو ألا تخلو منها.

وبعض هذه الموضوعات قد أثارتها مناسبات أو مواقف انتهت، ولكن الوقفة آثرت أن تستمر لما فيها من رغبة في استغلال الموقف أو المناسبة في سبيل إدخال المبدأ الثابت المستمر في توجيه هذا الموقف أو هذه المناسبة.

وانطلقت هذه الكتابات من المملكة العربية السعودية في بعضها، وبعضها انطلق من ألمانيا حيث كنت أعمل، وبعضها انطلق من الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كنت أعمل، وفي هاتين البلديتين أتيح لي

الاختلاط بالجاليات الإسلامية والعمل معها وتلمس مشكلاتها والتعاطف معها، وبث همومها وإيصالها إلى من يهتم بها.

وأظن أنها وقفات تعكس صورة لفترة من الزمان يمر به المسلمون في كل مكان وزمان مليء بالتحديات والتضييق والإهانة في الحروب وفي الاحتلال، وفي زمن فرض الأفكار الغربية قسراً على أمة تأبى إلا الإسلام طريقة في الحياة ولما بعد الممات.

وقد لقيت في هذه الوقفات التشجيع والتأييد من بعض المتابعين، وزودوني بالأفكار والمعلومات، وتلمست بعض الموضوعات من الجلسات الخاصة والعامة، وكان من التشجيع كذلك أن تفتح لي جريدة الجزيرة صفحاتها لأسهم فيها بشكل ملتزم ألقى فيه الدعم والمتابعة من القائمين عليها، وعلى رأسهم الأستاذ/ محمد بن ناصر بن عباس، رئيس التحرير، ونائبه الأستاذ/ محمد بن عبد الله الوعيل، وبقية الإخوة الزملاء العاملين في الجريدة. فلهم مني جميعاً ولزملائهم في الجرائد والصحف الأخرى، كالمسلمون والمبتعث والبلاد وعكاظ وغيرها جزيل الشكر والعرفان بالجميل.

وآمل أن يكون الثوب الجديد الذي تظهر به الآن هذه الوقفات لائقاً، من حيث الانتفاع، علماً أنني حاولت ألا أتدخل في النص المنشور سابقاً إلا ما رأيت ضرورة التدخل فيه، كالتطويع اللغوي، وحذف بعض عبارات رأيت أنها لا تناسب هذا الثوب الجديد، وإضافة عبارات محدودة جداً تناسب الموقف.

ويطيب لي أن أقدمها للقارئ الكريم والقارئة الكريمة متيقناً أنها تعبر عن صاحبها، ولا تدعي الحقيقة التامة، ولكنها كانت تبحث عن الحق، فهي من كلام البشر الذي يؤخذ من كلامه ويرد، ويقبل منه ويرفض. وأرجو أن أكون قد وفقت في بسط الأفكار والتأكيد على

الانتماء وثباته واستمراره، فإن يكن كذلك فمن عند الله تعالى، وإلا فهو مني وأستغفر الله فيه.

كما أرجو أن تكون هذه الإسهامة لبنة في طريق الدعوة الطويل، أنال منها الجزاء من الله تعالى، علها أن تكون من العلم النافع الذي يخلفه المرء وراءه.

ولعل هذا العمل يكون الكتاب الأول على هذا الطريق، وتليه إسهامات ووقفات بإذن الله تعالى، لا تكاد تخرج عن هذا الخط البائن في هذه الوقفات. وكان الله في عون الجميع.

علي بن إبراهيم النملة

الرياض

١٤١٦هـ-١٩٩٥م

أولاً: مع الزمان..!!

على هامش العام المنصرم

قال أستاذي: إن من الجوانب التي تميز هذه البلاد سيرها في تاريخها على التقويم الهجري، خاصة فيما يتعلق بالصرف في نهاية الشهر. . وقال إن كثيراً من البلاد العربية والإسلامية لا تكاد تذكر التقويم الهجري إلا عند حلول شهر رمضان المبارك، وقرب حلول عيد الأضحى المبارك. ونذكر نحن هذا ونذكر التوجيهات السامية التي تؤكد على استخدام التقويم الهجري. وفي الوقت ذاته نذكر الحاجة إلى استخدام التقويم الآخر في المراسلات الخارجية.

وقد يرى البعض أن مثل هذا الموضوع لا يستحق مثل هذا البحث والتقصي، إلا أن الأمر كما يبدو لم يتوقف عند هذا الحد، ولكنه جر معه شيئاً مما يصاحب هذا التقويم الآخر من شعائر وطقوس هي من الأصل الذي قام عليه التقويم بعيدة. ويلاحظ أن كثيراً من وسائل الإعلام العربية والإسلامية تعد برامج خاصة عن أحداث العام المنصرم، وأن العام المنصرم كان مليئاً بالأحداث، بعض منها يسرنا نحن وبعض لا نحبه ولكننا نقبله بروح المؤمن. فهناك فلسطين وأفغانستان وهناك طائرات المدنيين التي سقطت بهم، وهناك زلازل أرمينيا وفيضانات السودان وبنغلاديش وهناك أحداث أخرى متفرقة.

لا يتوقف الأمر على التركيز الإعلامي على عام مضى والتطلعات لعام قادم، بل إن بعضاً من المسلمين في بلاد أخرى تراهم ينخرطون في احتفالات العام الجديد، ويهنئ بعضهم بعضاً ويتبادلون البطاقات ليس في العام الجديد فحسب، بل وفي عيد الميلاد الذي يحيونه مع نهاية كل عام. وأعرف أن شخصاً قد نصب شجرة عيد الميلاد في زاوية من زوايا داره، وعندما تسأله عن موجب هذا يقول لك هذه للأولاد ليفرحوا كما يفرح أقرانهم، وهذه ناحية تحتاج إلى توقف ونقاش؛ لأنها وإن كانت مظهرية فلها ما لها من تأثيرها على الجيل. وأعرف شخصاً آخر في بلاد عربية مسلمة يولم بديك رومي في عيد الشكر الذي يوافق آخر خميس من نوفمبر ويدعو له الأصدقاء والأحباب، بل إن هناك محلات عربية في بلاد عربية تباع اللحم الحلال ويرتادها كثير من المسلمين تجد أنهم يبيعون في هذه الفترة الديك الرومي المذبوح على الطريقة الإسلامية بحجة أنه لا يتوافر في السوق إلا أيام عيد الشكر.

هذا وفي الجانب الآخر تجد أن هناك نشاطاً محدوداً نوعاً ما عندما يحل عيد الفطر المبارك أو عيد الأضحى المبارك في بعض البلدان العربية أو الإسلامية حيث الناس ينخرطون في أعمالهم وقد لا يستطيعون الخروج إلا لأداء صلاة العيدين. وليس الكلام هذا على ظاهره فهناك أقلية مسلمة تحتفل بالعيدين فلا وجه للمقارنة، ولكنها الروح التي تبرز واضحة في الأعياد الأخرى. فالتلفزيون في كثير من البلدان العربية والإسلامية - وأمامه الأطفال - مليء بالدعايات والبرامج والعروض ونحوها في وقت يغفل فيه الأهل من استغلال هذه الفرصة ليعطوا الأبناء فكرة عن هذا الوضع ويؤكدوا لهم على التميز الذي سيقفون منه وقفات تفكير وترو.

نعم هناك من الأسر الإسلامية في الخارج من يقول: وما المانع من

أن يشارك الصغار الآخرين أشياء فيها براءة، ويترك للأهل شرح هذه الأشياء وانتزاعها من مدلولها الروحي؟ ولعل هذه المقولة هي التي يخشى منها، إذ يعتقد أن الصغار لا يتأثرون، وعلينا أن نعود إلى نفسية الصغار لنذكر أنهم أكثر من غيرهم تأثراً بما حولهم، وأن توجيههم أهم بكثير من توجيه البالغين ولم يثبت إلى الآن بطلان الحكمة التي تقول إن العلم في الصغر كالنقش في الحجر. ولم يقتصر الأمر على الصغار ولكنه أيضاً شمل الكبار نتيجة لعدم الشعور بالانتماء الإسلامي الصحيح، وهذا هو محور الحديث. ففي الوقت الذي تجد فيه حماساً للدين وللرسول - عليه السلام - تفتقد عند البعض في بلدان عربية وإسلامية الجوانب العملية لهذا الحماس. ونقول إن الحديث هنا ينصب على المجتمع العربي والمسلم بشكل عام. ألسنا نرى أن بعض البلاد العربية والإسلامية قد جعلت من يومي السبت والأحد إجازة رسمية لها بدلاً من الخميس والجمعة، رغم أن هذه البلاد العربية والإسلامية لا تذكر في نظامها أنها تدين بغير الإسلام.

ويناقش الآخرون فكرة الأشهر وربما السنين، وعلينا ألا نغفل الدعوات المتكررة في بلاد أخرى التي تؤيد فكرة توحيد التقويم حالياً حتى وصل الأمر ببعض أن يناقش بجدية مسألة تعديل الأسماء فقط.

والخلاصة أن الذي يبدو أن هناك رغبة من قبل بعض أبناء عرب ومسلمين في التعلق بالتقويم الميلادي وأننا نلاحظ هذا مع نهاية كل عام ميلادي، وأن هذا بارز في كثير من البلاد العربية والإسلامية، ولكنه - بحمد الله وفضله - ينعدم في هذه البلاد المتميزة - المملكة العربية السعودية - فلا بد من التأكيد على هذا التميز، ولا بد من نقله إلى بقية البلاد العربية والإسلامية، بحيث يكون التقويم الهجري هو الأسلوب المتبع لتأريخ الوقائع والأحداث والمؤتمرات واللقاءات والزيارات على

مستوى المؤسسات والمنظمات والجمعيات العربية والإسلامية. وهذا أمل نتطلع إلى تحقيقه، وأمل في النفس خالجها مع نهاية العام الميلادي ١٩٨٨ م، وكان الله في عون الجميع.

١٤٠٩ هـ هذا العام الجديد..!!

كل عام وأنتم بخير وسلام. يدخل علينا هذا العام الجديد ونحن أكثر بشراً وإبتهاجاً من أعوام مضت. نحن الآن على مشارف مشروعات للسلام. الحرب العراقية الإيرانية قد رسم لها أن تتوقف يوم السبت القادم ١٤٠٩/١/٨ هـ الموافق ١٩٨٨/٨/٢٠ م. وتبدأ المحادثات المباشرة بين الطرفين يوم الخميس ١٤٠٩/١/١٣ هـ الموافق ١٩٨٨/٨/٢٥ م. والجنود الروس سيكتفون من انسحابهم من أفغانستان بحيث لا يبقى إلا أعداد محدودة من الجنود والمستشارين العسكريين الذين سيشرفون على خروج آخر جندي روسي من أرض الأفغان. وفي جنوب إفريقيا ستتوقف الحرب بينها وبين أنجولا وسيعود الجنود الكوبيون إلى بلادهم. والانتفاضة الفلسطينية ستستمر معلنة للعالم كله أن هناك إرادة تتحطم أمامها جميع الحركات الجانبية التي تنتهي في الإطالة بالوجود اليهودي في فلسطين.

يناقشون في مطلع هذا العام الهجري المبارك من المنتصر ومن الخاسر في هذه الحروب. ويقول البعض إن كل الأطراف قد خسرت، ولم يفرز فيها إلا بعض أولئك الذين تحدثت عنهم في الأسبوع

الماضي^(١). والحق أن آثار الحرب لا تنتهي مع نهاية الحرب. فنحن لا نزال نعيش آثار الحرب العالمية الثانية رغم مرور أكثر من أربعين عاماً على توقفها ١٩٤٥ م - ١٩٨٨ م. وفيتنام لا تزال تعيش آثار الحرب التي تورطت فيها كل من روسيا وأمريكا، وخرج الاثنان خاسرين بكل المقاييس. والحرب الكورية قبلها لا تزال باقية الآثار، وهكذا. وعليه فإن إيران والعراق سيحتاجان إلى وقت غير قصير لتلتئم جروحهما بعد أن فقدوا مليون قتيل في حرب السنوات الثماني. والروس سيخرجون من أفغانستان كما خرجت أمريكا من فيتنام. إلا أن الوضع في أمريكا يسمح بأن يقول الجنود والقواد والإعلام إنهم هزموا فتقوم لهم الهيئات والمؤسسات والجمعيات والمستشفيات، بل والمصحات. ويطبقون لهم حائطاً في العاصمة واشنطن يكتبون فيه أسماء من قتلوا في هذه الحرب من الأمريكيين، ويواصلون البحث عن المفقودين.

أما في الاتحاد السوفيتي فإن الوضع لن يسمح بشيء من ذلكم أبداً وستظل القبضة الحديدية تضلل كثيراً من الناس داخل الاتحاد السوفيتي وخارجه. ولن تقوم هناك جمعيات أو مؤسسات ولن يقام للمقتولين ما أقيم لهم في واشنطن. ولا يهم الأمر هنا أن يقام لهم حائط أو نصب أو غيره. المهم أن يعي الآخرون أن هذه الدولة التي أطلق عليها الكثيرون الدولة العظمى تخرج مهزومة من قبل أولئك الذين أطلق عليهم الكثيرون أيضاً (البدايين)، ولا أخالهم بدائيين وهم يملكون العقيدة التي أعانتهم على الصمود أمام هذه القوة العظمى. هم ليسوا بدائيين وهم يضعون أسلحتهم أمامهم ويقفون بين يدي الله تعالى معبرين عن توكلهم عليه في العدة والعدد. بدائيتهم أتت من أنهم لا يملكون السلاح المادي الذي

(١) المقصود بهم هنا تجار السلاح الذين يسعون إلى ترويح بضاعتهم على حساب حياة الأمم!!

تملكه أصغر دولة تحرص على حماية حدودها ووجودها. ولكن الروس لم ييخلوا عليهم بالسلام فأعطوهم - دون رغبة منهم - السلاح الذي جلبوه ليقضوا به عليهم. وتلكم من التدابير التي لا تخضع للتخطيط ولا تفيد بها الدراسات الاستراتيجية، أي أنها خارجة عن إرادة الإنسان ومستواه في التفكير.

ولو عدنا إلى الوضع في إيران والعراق لوجدنا أن إيران قد تورطت في هذه الحرب لأسباب لعلها معروفة. ويحضرني هنا كلمة قالها السيناتور الأمريكي هنري جاكسون ممثل واشنطن الولاية ورئيس لجنة الشرق الأوسط في مجلس الشيوخ. كان قبل وفاته قد قال إن الوضع في إيران يفرض إشغال الإيرانيين ليتمكن الحكام من البقاء والإبقاء على إيران؛ لأن إيران - كما تقدم - سوف تنقسم على نفسها حالما تتاح الفرصة للتفكير في الأوضاع الداخلية. والآن وقد بدأ حزب مجاهدي خلق يهدد الحكومة من الداخل بدأت مصداقية ما قاله ذلكم السيناتور الراحل. وعليه فلعل الحكومة الإيرانية الحالية كانت تصر على استمرار الحرب حتى تتلافى حرباً داخلية بدلاً من الحرب على الحدود. ولتتلافى حرباً أهلية بدلاً من الحرب بين جنس وآخر، وهكذا.

والمرء هنا لا يسعى إلى أن يتمنى الشر بالآخرين، ولكنه الوضع الذي يفرض مثل هذه الاستنتاجات. يضاف إلى ذلكم الصراع على السلطة بين أحمد الخميني ومنتظري ورافسنجاني. وكل من هؤلاء يمثل اتجاهاً لا يخرج عن النطاق العام الذي رسمه الخمينيون لحكم البلاد قبل ثماني سنين.

ولعل من نتائج هذه الحرب أن فقدت إيران مجموعة غير يسيرة من أبنائها الذين كانوا مختلفين مع فكرة الحرب فغادروا البلاد بما معهم من أرصدة، وبدأوا باستثمارها في أوروبا وأمريكا، وكونوا هناك جالية لم

تكن موجودة من قبل. هؤلاء يسميهم البعض «تجار البازارات» وهم بحق أهل الاقتصاد في البلاد. ومثلهم العلماء في المجالات الشتى من مجالات المعرفة، يحاضرون ويبحثون ويدرسون في الجامعات الغربية، ويستحي بعض منهم أن يقال عنه إنه إيراني. حتى قال لي أحدهم: إنني لست من إيران الحالية وإن كنت من إيران.

حتى علماء الدين أدلوا بدلوهم وكتب «١٥٠,٠٠٠» عالم منهم عريضة للخميني يطلبون منه فيها أن ينهي الوضع ويقبل بالقرار، فرد عليهم أنهم إن كانوا مصرين على هذا الطلب فليدعوا الله أن يعجل في موته - موت الخميني - ويقف آية الله العقبوي في المنابر يندد بالسياسة التي اتبعها الخميني في هذه الحرب في الوقت الذي أوهم فيه الخميني الناس أن قراره السياسي هذا قد أخذ طابع القدسية. ولا بد لبقية الآيات أن يلتزموا بهذا القرار ويدافعوا عنه على اعتبار أنه لم يصدر من مجرد بشر...!

وإيران ما بعد الشاه تحتاج إلى مزيد من الدراسات والتحليل للعقلية والنفسية التي حكمت إيران في هذه الفترة ليخرج المرء بأحكام موضوعية متجردة لا بد أن تصل في نهاية المطاف - ولو طالت مسافته - إلى النتيجة الحتمية لمثل هذه التصرفات ليدفع الشعب الإيراني في النهاية الثمن باهظاً، متمثلاً في فلذات الأكباد من الأطفال والشباب الذين كان من الممكن تحويلهم إلى الحق والاستعانة بهم في مواجهة نوائب الدهر عموماً ومواجهة عدو مشترك يهدد المنطقة بالتمزق والضياع. هذا إذا كان هذا العدو مشتركاً! هذا بالإضافة إلى الأيامي والثكالي والأيتام والمعوقين الذين يحتاجون إلى أكثر من مجرد المال أو المؤسسات. يحتاجون إلى المعاني أكثر من الماديات حيث لا يصلح العطار ما أفسده الدهر.

فيأتي وقف إطلاق النار وبدء المحادثات في سبيل السلام ليقطع

الطريق أمام مزيد من المآسي بأشكالها المختلفة، ويترك مجالاً لرأب الصدع وعلاج الجرح بدلاً من أن تتسع الفجوة فلا يلتئم الجرح. ويحل علينا هذا العام يحمل البشرى لنا جميعاً في استئناف حياة أكثر هدوءاً وأكثر تركيزاً على قضايا مصيرية نحن بحاجة إلى التركيز عليها على مستوى المنطقة العربية عموماً. فليكن عامنا هذا عام السلام، وليكن بداية النهاية لكل منغصات السلام. وكان الله في عون الجميع.

١٤١٠ هـ هذا العام الجديد

يؤثر عن عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . قوله : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا . ومحاسبة النفس ليست مقصورة على مرور عام وحلول عام آخر . فالمرء يحاسب نفسه بالثواني والدقائق والساعات والأيام والشهور . وهناك شعور خاص عند حلول عام جديد يعتور المرء ويجعله دون رغبة أحياناً ينظر إلى الخلف ، إلى عام مضى فيقوم ما ناله في هذا العام وما قدمه ، ويحاول أن يوازن بين ما قدمه وما ناله حسبما هي الجهة التي قدم لها ونال منها . فالعابدون يقدمون جهدهم - وحسب مقدرتهم - في العبادة ولا ينظرون إلى ما نالوه جزاء لما قدموه ، فذلكم أمر متروك لله تعالى ، وعمر بن الخطاب كان يقول : إنه لا يحمل هم الإجابة ولكنه يحمل هم الدعاء .

والمواطنون يقدمون العمل الواجب للوطن في الداخل والخارج ، وهم أيضاً لا يقومون ما قدموه بما نالوه ، فمهما نالوا فلن يعطوا الوطن حقه ، مع أنهم ينالون الكثير من الوطن ، وما برح الوطن يدر عليهم من خيرات ينعمون بها ولا يدركها بعضهم إلا من فقدها ، أو عاش مع فاقدتها ، ولذا تأتي فائدة السفر في الموازنة بين ما يقدمه هذا الوطن لمواطنيه وبين ما تقدمه الأوطان الأخرى لأبنائها . لقد كثرت الهجرات من

الأوطان الأخرى سعياً وراء الاستقرار والأمن الوظيفي والغذائي والنفسي، ولكننا في هذا الوطن - بحمد الله - تكثر الهجرات إلينا سعياً وراء التنعم بالاستقرار والأمن بكل أنواعه. وهذا شيء مشاهد ولسنا بعيدين بعداً معنوياً عن أمريكا، ذلكم البلد الذي قام أصلاً على المهاجرين من أوروبا وإفريقيا وآسيا، ولم يحس فيه هؤلاء المهاجرون بعد ما ذهبوا يبحثون عنه.

والمقيم في هذه البلاد الطيبة يتمنى طول الإقامة، ليس لأنه ينال مادة أكثر مما ينال في بلاده، ولكنه هنا يطعم معنى الحياة فيكون الصداقات مع أبناء هذه البلاد ويُشعر - بالمبني للمجهول - بأنه من أهل الدار وقد يسيء البعض من هؤلاء حسن التعامل فتكون هناك انطباعة غير طيبة لدينا عن المجموع ويؤخذ هذا وذاك حجة عليهم. ومع هذا فتراهم يغبطون أبناء هذه البلاد على بلادهم.

ومع إطلالة العام الجديد ينظر المرء إلى الخلف فيحمد الله على أن مضت به الأعوام وهو في خير عميم، ويرى أن أية سلبيات قد مرت عليه - إن كان قد واجهها خلال الأعوام الماضية - إنما هي منبهات له تعينه على الإدراك بأنه يعيش الواقع بالعمل الجاد، والجهد المطلوب.

وينظر المرء إلى الأمام - ربما الأمام البعيد - مع حلول العام الجديد فتجدد عنده تلكم الطموحات التي كان قد رسمها في لحظة من اللحظات، فتراه يعلق الآمال وهو يدرك بإيمانه أنه قد لا يلقي أهله وربعه في العام القابل، ولكنه لا يستسلم لهذا فيغرس ما معه من فسيلة، حتى لو كانت الساعة قاب قوسين أو أدنى منه، سواء الساعة الكبرى، أم ساعته هو. وما عليه إلا أن يدعو الله أن يكون عامه هذا عام خير وبركة على بلاده وأهله وذاته.

عمر.. والرشوة..

وأنا أعود إلى عبقرية عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خطها يراع عباس محمود العقاد - رحمه الله - وحيث إنني عدت إلى أقوال عمر في محاسبة النفس والنظر إلى نتائج الدعاء أجد أن مملكة الإسلام في عهد عمر بن الخطاب قد توسعت كثيراً جداً مما كانت عليه أيام أبي بكر - رضي الله عنه - وأيام الرسول - عليه الصلاة والسلام - فلا بد من الولاة والعمال على الأمصار، ولا بد من العاملين في الولايات مع الولاة والعمال. ولسماحة الدين ينشره عمر يستعين الولاة والعمال بغير المسلمين ممن يعيشون تحت حماية ورعاية راية الإسلام. ولكن عمر لا يعجبه هذا الأسلوب في الاستعانة بأهل الذمة. وكان يقول لولائه: «إني نهيتكم عن استعمال أهل الكتاب فإنهم يستحلون الرشا» (جمع رشوة) يقول العقاد: «وطلب/ عمر/ يوماً من أبي موسى رجلاً ينظر في حساب الحكومة فأثاه بنصراني فقال: إني سألتك رجلاً أشركه في أمانتي فأثيت بمن يخالف دينه ديني». وكان لعمر خادم من أهل الكتاب يُقال له أسبق. فعرض عليه أن يسلم حتى يستعين به على بعض أمور المسلمين فأبى فأعتقه وأطلقه وقال له: «أذهب حيث شئت».

عجيب أمر عمر بن الخطاب وموقفه هذا. عمر بن الخطاب الذي أبى أن يصلي في كنيسة في بيت المقدس خشية أن يقال بعده صلى بها عمر، فتحول الكنيسة مسجداً. وعمر بن الخطاب الذي وجد قذارة على عتبة الكنيسة فوضع «حجره» يحملها به يبعدها عن الكنيسة. موقف عمر من أهل الكتاب موقف إيجابي في بدايته ونهايته، لكنهم كما وصفهم يتعاطون الرشوة.

ويتهم الغربيون - ومنهم أهل الكتاب - بعض بلاد المسلمين بالرشوة، وأنها متفشية بينهم حتى في المطارات، فيرد عليهم المسلمون

بأنهم لم يكونوا يعرفون الرشوة قبل أن يختلطوا بالأجناس الأخرى عن طريق الاستعمار، أو عن طريق السفر إلى بلادهم والاطلاع على ثقافتهم.

ويحسن المسؤولون كثيراً في هذه البلاد الطاهرة حينما يشهرون بالمرتشين في الصحف المحلية، معلنين صراحة رفضهم لهذه العاهة ووقوفهم منها موقف المحارب لكل ما من شأنه أن يقوّض هذا المجتمع ويسيء إلى مبادئه التي يقوم عليها وإلى سمعته التي يبنينا.

عمر.. والتوراة..

وما دمنا مع عمر الذي سن العام الهجري بدءاً من محرم الحرام، وما دام لعمر موقف من أهل الذمة، نرى عمر يقع على كتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فيقرأه على الرسول - عليه الصلاة والسلام - فيغضب الرسول - عليه السلام - ويقول لعمر - كما في تفسير ابن كثير -: «أمتهمون فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه، أو بباطل فتصدقونه. والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني». والقصة في تفسير ابن كثير عند تفسير سورة يوسف ولها طرق أخرى.

وذلكم منهج ثقافي فكري عقدي ينبه إليه الرسول - عليه السلام - أمة محمد ألا تستعين بكتب أهل الكتاب والقرآن الكريم بين ظهرانيها، ولا يقتصر الأمر على الكتب، ولكنه - عليه السلام - ينهى أن يكون غير المسلمين مصادر للمعومات خشية أن يخبروا بالحقيقة فيكذبها المسلمون، أو يخبروا بالباطل فيصدقهم المسلمون. وهذا الموقف يجرنا إلى التعرّيج على فئة من أبناء أهل الكتاب - في العموم - نسميهم المستشرقين فأخبرونا بالباطل فصدقهم كثير من العرب والمسلمين - وأخبرنا

بعضهم بالحق فكذبه البعض من العرب والمسلمين . وكم تأثر بهم البعض وكم تأثر منهم الكثيرون . وعودة يسيرة إلى مثل هذه الوقفات الثقافية من رسول الله - عليه السلام - تعطينا بدقة ما نريد أن نكونه من موقف تجاه الثقافات الأخرى وتجاه أولئك الذين جعلوا من ثقافتنا وديننا في عالمنا الإسلامي مجالاً يحققون منه أهدافاً بعيدة المدى ذكر منها الباحثون الأهداف التنصيرية والاستعمارية والتجارية والاقتصادية والسياسية والوقوف مع هؤلاء يحتاج إلى نفس وثروة علمية ورغبة في البحث ، والله المستعان .

الجزيرة العدد ٦١٧٠

الأحد ١٩ محرم ١٤١٠ هـ ، ٢٠ أغسطس ١٩٨٩ م

العقد الثاني من القرن الخامس عشر!

يذكر أبو جعفر النحاس في «صناعة الكتاب» عن محمد بن جرير أنه روى بسنده إلى ابن شهاب أن النبي ﷺ - لما قدم المدينة وقدمها في شهر ربيع الأول - أمر بالتأريخ. ويقول النحاس: والمعروف عن العلماء أن ابتداء التأريخ بالهجرة كان في خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.

وكان عامل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في اليمن قد قدم عليه فقال: ألا تؤرخون كتبكم؟ وهذا ما ذكره النحاس في السبب الموجب للتأريخ الهجري. . ويذكر أبو هلال العسكري في كتابه «الأوائل» أن السبب فيه أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر الخطاب - رضي الله عنه - إنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندري على أيها نعمل، قد قرأنا كتاباً منها محله شعبان، فما ندري أي الشعبانين، الماضي أو التالي فأحدث عمر التاريخ. . ويوافق أبا هلال العسكري ابن حاجب النعمان في «ذخيرة الكتاب».

قال القلقشندي: وذكر صاحب حماة في تاريخه: أنه رفع إلى عمر - رضي الله عنه - صك محله شعبان، فقال: أي شعبان، لا ندري الذي نحن فيه أم الذي هو آت، ثم جمع وجوه الصحابة وقال: إن الأموال قد كثرت وما قسمناه منها غير مؤقت فكيف التوصل إلى ما يضبط به ذلك؟

فقالوا: يجب أن نعرف ذلك من أمور الفرس، فاستحضر الهرمزان وسأله فقال: إن لنا حساباً نسمة (ماه زور) ومعناه حساب الشهور والأيام فعمل عمر التأريخ.

ويذكر ابن حاجب النعمان في «ذخيرة الكُتَّاب»: «لما أراد عمر التأريخ جمع الناس للمشورة، فقال بعضهم نؤرخ بمبعث النبي ﷺ، وقال بعضهم: بل بوفاة. وقال بعضهم: بل بهجرته من مكة إلى المدينة؛ لأنها أول ظهور الإسلام وقوته، فصوبه عمر واجتمع رأيهم عليه» والملحوظ هنا أنه لم يأت رأي رابع يؤرخ بمولد النبي ﷺ. رغم أن مولده - عليه السلام - معروف بعام الفيل واستأثرت النصارى بالتأريخ بمولد عيسى - عليه السلام - بزيادة ستة أيام، إذ يذكر أن مولده يوافق الخامس والعشرين من الشهر الثاني عشر (كانون الأول/ ديسمبر) من السنة الميلادية.

وبعد الاتفاق على الهجرة للتأريخ نظر المسلمون في بدء السنة الهجرية فأشار بعض المسلمين بالبداة برمضان لشرفه وعظمه فقال عمر - رضي الله عنه -: بل بالمحرم؛ لأنه منصرف الناس عن حجهم، وذكر القضاعي في «عيون المعارف» - أن ذلك كان سنة تسع عشرة أو ثماني عشرة من الهجرة.

تواريخ الأمم:

قال صاحب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: «واستقرت تواريخ الأمم على أربعة تواريخ ابتداء بعضها مقدم على ابتداء بعض: أولها: غلبة الإسكندر على الفرس، وعليه تاريخ السريان والروم. . والثاني: ملك دقلطيانوس ملك الروم على القبط، وعليه تاريخ القبط. .

والثالث: الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وعليها مدار التاريخ الإسلامي.

والرابع: هلاك يزدجرد آخر ملوك الفرس وبه تؤرخ الفرس...».

وتتفق تواريخ الأمم على عدد الشهور، فكل منها اثنا عشر شهراً ولكنها تختلف في النظام، فمنها القمري ومنها الشمسي، وتختلف في تسمية الشهور وعدد أيامها.

والشهور عند السريان هي: تشرين الأول - تشرين الثاني، وكانون الأول وكانون الثاني، وشباط، وآذار «بالذال المعجمة» ونيسان، وأيار، وحزيران، وتموز، وآب، وأيلول، وتبدأ السنة عند السريان بتشرين الأول.

وشهور السنة الرومية تضاهي شهور السنة السريانية في عدد الأيام، ولكن أسماء الشهور تختلف وبداية السنة الرومية تختلف أيضاً عن السنة السريانية، فتبدأ السنة الرومية مع كانون الثاني وهو الشهر الرابع في سنة السريان. أما أسماء شهور السنة الرومية فهي كالتالي:

على الرسم الذي أورده القلقشندي، ينير، وفبراير، ومارس، وأبريل، ومايه، ويونيه، ويوليه، وأغشت، وشتنبر، وأكتوبر، ونوفمبر، ودجنبر. وهي الشهور المعمول بها الآن في السنة الميلادية مع اختلاف طفيف في الرسم.

ويستعمل بعض العرب في الديار الشامية الشهور السريانية على طريقة السنة الرومية، ويستعمل بعض العرب في المغرب العربي الشهور الرومية ولكن تبعاً لرسمها في اللغة الفرنسية. وشهور السنة القبطية هي: توت، وبابه وهتور، وكيهك، وطوبه، وأمشير، وبرمهات، وبرموده، وبشنس، وبشونة، وأيب، ومسرى، وكل شهر منها ثلاثون يوماً.

وشهور التأريخ العربي الذي مبدأه الهجرة معروفة.

وشهور التأريخ الفارسي هي: أفرودين ماه، وارديهشتماه،

وحدادماه، وتيرماه، وتردماه، وشهريماه ومهرماه، وأبان ماه، وأدرماه،
وذي ماه، وبهمن ماه، وسافندرمه. وكل شهر منها ثلاثون يوماً.
وأعادت اليهود تأريخها بعد أن كان قد انقضى ولم يذكر في الكتب
المعتمدة في مصادر المعرفة في هذا المجال.

ومع هذه التواريخ المشهورة تعتمد بعض المجتمعات الريفية
والقروية إلى التأريخ المحلي المبني على أحداث محلية يعم تأثيرها
ويكون لها وقع قابل للتذكر على مر السنين، فيقال حدث أمر قبل سنة
كذا أو بعد سنة كذا على غرار ما كانت العرب تؤرخ تبعاً للأيام أو
الحروب.

ونحن بدخولنا العام الجديد ١٤١١ هجرية نكون بدأنا العقد الثاني
من القرن الخامس عشر الهجري، وليس كما يقال أن العقد الثاني قد
دخل مع دخول العام المنصرم ١٤١٠ هـ، هذا العام كان مكماً للعقد
الأول - ونظرنا إلى دخول العام الجديد لا تتعدى بحال نظرة الاعتبار
ووقف حساب مع النفس في محاولة للتقويم للأعمال الباقية التي قمنا بها
في العام الماضي، مع محاولة لتلافي النقص وتصميم على الأفضل في
العام الجديد، وننظر في حلول هذا العام الجديد إلى ما مرّ برسولنا - عليه
الصلاة والسلام - وهو في طريقه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة على
اعتبار أن هذه الخطوة هي المؤشر لعزة الإسلام وقوته، كما أشار إلى هذا
أحد الصحابة ممن دعا إلى بدء التأريخ العربي بهجرة رسولنا محمد - عليه
من الله الصلاة والسلام -، وهذه طريقتنا في النظر إلى الحوادث التي
مرّت وقصّها علينا القرآن الكريم أو قصتها سنة المصطفى عليه السلام أو
رصدها لنا التاريخ الموثوق.

التوقعات:

ولا ننظر في حول العام الجديد إلى ما تكتبه الصحافة العربية،

والعالمية مع حلول العام الميلادي من استشراف للمستقبل بنظرة غير علمية لا تقوم على الاحتمالية أكثر من قيامها على التنبؤ أو التنجيم، فنحن لا نصدق المنجمين ولو صدقوا. . ونترك أمر الغيب لمن استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحداً من خلقه إلا من ارتضى سبحانه وتعالى علام الغيوب، والمستقبل من علم الغيب، إلا أننا بحكم ثقافتنا نتفاعل بما هو آت وننظر إليه على أنه سيكون - بإذن الله - أفضل مما مضى. على أي حال فالنظرة المتفائلة تصاحبنا في حياتنا بغض النظر عن الزمان والوقت.

وبغض النظر عن طبيعة الحدث الذي يمر بنا، وإن كان في ظاهره يوحي بأنه في غير مصلحتنا ولكنه على المدى البعيد يكون خيراً لنا، وهكذا علمنا القرآن الكريم ألا نكره شيئاً ففعل الله أن يجعل به لنا خيراً كثيراً.

والمقوم للأحداث التي تمر به - فرداً كان أو مرت به ضمن مجموعة - يرى أن هذه الأحداث تكون قد نبهته إلى ما هو أعظم منها فيحتاج لما هو أعظم، أو تكون حالت دون حدوث ما هو أعظم فكانت كالمؤشر اليسير الذي يذكر بأننا نسير في نظام كوني يخضع لإرادة مدبره - سبحانه وتعالى -... ولربما كانت الأحداث التي تمر بنا مكفرة عن ذنوب اقترفناها، فاستعجل عقابها علينا في الدنيا، بدلاً من أن نلقى عقابها في الآخرة، وتكون حينئذ رحمة من الباري جلّ وعلا.

وهذا ما يتعلق بالأحداث التي تبدو سلبيتها لنا على المدى القريب أو بالنظرة السريعة، أما الأحداث التي تمر بنا وفي ظاهرها الإيجابية لنا فربما كانت من قبيل الامتحان والابتلاء لنا أن نشكرها فتزداد أم نكفرها فتزول، وحدثها مع زيادتها أو نقصها مؤثر آخر على أن هذا الكون يسير بنظام مرتب دقيق، فيه التصريح الفعلي بأن الله تعالى يمهل ولا يهمل.

وعليه تقوم نظرتنا لما يمر بنا، وعليه تقوم توقعاتنا لما يمكن أن يمر بنا في العام الجديد.

وإن عاهدنا أنفسنا على أن نقلع عن أمر أو نقوم بآخر فإنما نحن نحاول أن نفتح صفحة جديدة مع الحياة نسجل فيها مفهوماً جديداً منقحاً ومطوراً للتعامل معها، وغالباً يكون التعامل بإيجابية، تلکم الإيجابية النسبية التي نحكم عليها نحن من منطلقاتنا أنها إيجابية، وقد يحكم عليها الغير ممن لا يتبنون مبادئنا بأن هذا التعامل تعامل حذر فيه تضيق على النفس حينما لا يعمد المرء إلى «الاستمتاع» بما في الحياة، ومن هنا يأتي الاختلاف في استخدام المصطلحات وفقاً للمبادئ التي يؤمن بها المرء.

سوء الفهم:

ولا يفهم من هذه النظرة إلى المستقبل عدم الاستعداد له، فنحن نمضي في خططنا وآمالنا وتطلعاتنا وكأننا نعيش أبداً حتى إذا قامت القيامة وفي يد أحدنا فسيلة يقوم بغرسها. . وهذا معنى رائع للنظرة إلى المستقبل، فنحن نتجنب الاتكالية في تعاملنا مع المستقبل، ولا نتقاعس عن البناء والتنمية، ولكنها النظرة الموقنة بأننا نعمل جهدنا ونترك النتائج لا نحمل همها. وهذا منطلق الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حينما يؤثر عنه قوله إنه يحمل همّ الدعاء ولا يحمل همّ الإجابة، ولعل هذا المنطلق ينطبق على العمل والعطاء دون حمل لهمّ النتائج إلا للتقويم وتحسين الأداء، وكل عام وأنتم بخير، وكان الله في عون الجميع.

ثانياً: تأملات...

تلاقح الحضارات.. والحوار مع الآخرين..!

لعله من المناسب هنا أن يكتب كاتب قادر بعض الأفكار الصادقة والانطباعات الأولية عن مجتمع غير مجتمعه . ونحن نعلم أن كثيراً من الكتابات والآراء حول المجتمعات الأخرى تحاول - في مجملها - أن تقلل من أهمية هذه المجتمعات في سبيل إبراز أفضلية المجتمع التي تعيش فيه .

لا بد من التأكيد على أن هناك مجتمعات فاضلة ومجتمعات مفضولة . ولكن المجتمعات الفاضلة لا تخلو من هنات البشر التي لا بد منها في حياة البشر . ويخطيء من يحاول أن يطهر أي مجتمع من تصرفات البشر التي نزلت الكتب السماوية لتقول كلمتها فيها، ولتحدد موقف القائمين على المجتمع منها .

والمجتمعات المفضولة لا تخلو أيضاً من جوانب تفتقر إليها المجتمعات الفاضلة، وتلكم من سنن الله في خلقه . ويخطيء من يحاول أن يلصق كل نقيصة في المجتمعات المفضولة فقط؛ لأنها مجتمعات مفضولة .

أقول هذا وأنا أسمع أحياناً نقاشاً قائماً على هذه النظرات المتميزة التي ينقصها العدل في الحكم . ولعل السبب في هذه النظرات الشعور بأن

هذه المجتمعات ضد القيم والمبادئ التي يدين بها مجتمعنا، وأن هذه المجتمعات تسعى سعياً غير معلن للقضاء على هذه القيم والمبادئ القائمة على الوحي الإلهي. ولعل مجرد كونها قيماً ومبادئ إلهية يعني من الخوف من أي مجتمع آخر للقضاء عليها ما دامت محفوظة من الباري عز وجل.

وواقع الحال أن المجتمعات الأخرى مقبلة الآن على تبني هذه القيم والمبادئ بشكلها الشامل المتكامل، الذي لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال إحلال الدين الإسلامي محل المعتقدات الأخرى، سواء كانت بقايا من رسالات سماوية، أو كانت مرية مجرد التفكير فيها يدعو إلى البعد عنها والبحث عن قوة عظمى يتعلق بها المرء ليؤمن على حياته ومصيره بعد مماته.

حقاً إن هذا الاطمئنان من عدم قدرة المجتمعات الأخرى على القضاء على القيم والمبادئ الربانية لا يعني الاستكانة والالتكالية التامة. ومع هذا فإنه لا بد من وضع هذا المبدأ في الاعتبار ومحاولة تحويل المجهود إلى المهمة الأسمى، وهي انتشال المجتمعات الأخرى من الدوامة التي تعيش فيها وإبراز البديل لهذا الخلط إبرازاً يضع الآخرين أمام الأمر الواقع، ثم يترك مقياس التأثير والتأثر لله تعالى يحكم به بمشيئته المطلقة. وهنا سيكون التأثير قوياً عندما لا يواجه الآخرون بالحط من قيمهم ومبادئهم التي يتبنون كثيراً منها عن قناعة، ويتبنون بعضاً منها لأنهم لا يعرفون هناك بديلاً عنها. والذي يبدو أن الشخص ينتقد مجتمعه وبعض التصرفات فيه مع أقرانه من أبناء المجتمع نفسه، ولكنه يتحفظ عندما يكون الجانب الآخر خارج الإطار حتى لو كان هذا الجانب الآخر قد جاء ليخرج هذا المجتمع من ظلام دامس إلى نور شامل. وربما أدى هذا الأسلوب في المواجهة إلى التأخير في قبول ما جاء به هذا المصلح

أو الموجه أو الداعية، أو المناقش، أو أياً كانت مهمته. ولعل من الأولى لمن أراد استغفال الآخرين في قيمهم أن يتحدث عن نفسه وألا يتمثل في هذا قيماً يريد لها أن تحل محل القيم البالية التي ينتقدها.

كان أحدهم يتحدث عن الوضع في الفلبين بعد مغادرة ماركوس وتولي أكيانو، فكان يقول كلاماً لمجموعة من الفلبينيين عن السلف والخلف لا يريدون سماعه عنهما مهما كانا غير مقبولين. وما كان منهم إلا أن تضايقوا وبحثوا عن مخرج لهذا، وعندما وجدوه تشبثوا به فكان التأثير. وكان آخر يشتم المجتمعات الغربية في الوقت الذي تراه يعيش فيها ولا يقبل مغادرتها والتعامل مع أي مجتمع غيرها. وكان ثالث قد وطد النفس على الحط من كل ما يأتي من الغرب حتى ولو كان من الأشخاص الذين يتبنون القيم والمبادئ التي يتبناها هذا الشخص، إلا أنه يحس أن هذه القيم لا بد وأن تتأثر من قريب أو بعيد بالقيم الغربية - التي يراها جملة وتفصيلاً غير مقبولة لتقود أمة - وهو وإن كان على شيء من الحق في هذا فلا يعني أنه لم يجانب الصواب في حكمه العام الذي جعله من مسلمات موقفه من هذا المجتمع.

والعجيب في هذا أن مثل هذه النماذج إنما اعتمدت على الدعايات والإشاعات والأقوال البعيدة عن المعاشية، لتحكم من خلالها على المجتمعات الأخرى بأحكام لها أساس من الصحة، ولكنها ليست بالضرورة صحيحة في مجملها. وكثيراً ما يتحول الموقف إلى الدفاع الذي يأخذ طابع الهجوم على المجتمعات الأخرى. ومجتمعنا ليس بحاجة إلى من يدافع عن قيمه ومبادئه الربانية بقدر ما هو بحاجة إلى من يوضح هذه القيم والمبادئ للآخرين ويزيل عنها الغبش الذي ألبست إياه من قبل بعض الذين لووا هذه القيم والمبادئ لتناسب منطلقات بشرية منحرفة عن الخط المستقيم. ومتى ما اتضحت الرؤية للآخرين من خلال

الإيضاح والممارسة وجدنا أن المجتمعات الأخرى تُقبل باندفاع لتبني هذه القيم والمبادئ بشكلها الشمولي الذي جاءت به .

وستتضح الرؤية من خلال الحوار . وهو ما يسمى الآن بحوار الحضارات ، ويسميه البعض بتلاقح الحضارات ، ومع إدراك الفرق بين المصطلحين إلا أن كليهما فيه نوع من اللقاء القائم على قبول بعض مقومات حضارة لحضارة أخرى في الوقت الذي يكون فيه العكس صحيحاً ، فلا يقتصر الأمر على التلقي من جانب واحد فقط .

وإذا كان البعض قد يتحفظ على فكرة تلاقح الحضارات وفكرة حوار الحضارات فإن هذا نابع من الخوف على الحضارة الإسلامية من أن تطغى عليها مقومات الحضارات الأخرى فتتمسخها وتحل محلها . وهذا قطعاً لن يكون بسبب من اليقين في حفظ هذه الحضارة ومقوماتها . وهذا الحفظ لم يمنع في السابق ولن يمنع في الحاضر والمستقبل من أن تستفيد الحضارة الإسلامية من إيجابيات الحضارات الأخرى ، خاصة أن الحضارة الإسلامية إنما هي امتداد لحضارات سابقة كانت تقوم على الوحي الإلهي قبل أن يتدخل في تعاليمها الإنسان فيعدل فيها ويحذف ويضيف .

وعلى هذا فالحوار مطلوب عندما يكون المحاورون على درجة قوية من الاطلاع والفهم والإدراك والتطبيق للحضارة الإسلامية فتجد عندهم المبررات للثغرات التي مرت بها هذه الحضارة في فترات ضعفها عبر السنين الماضية وليس هناك بأس من هذا المنطلق من فتح باب الحوار ليس رغبة في التلاقي ، ولكن في التوضيح والكشف عن القيم السامية لهذه الحضارة لدى عالم خيمت عليه قيم جرّت إلى مصائب بدأ يبحث في الخلاص منها ومن القوانين التي ساعدت على قيامها وانتشارها في تلك المجتمعات . و لا يكفي هنا أن نتوقف عند انتقاد هذه المجتمعات والخط منها إذا كنا غير قادرين على تقديم الحلول لها . . والله المستعان .

حكمة الجاهلين.. وجهل المتعلمين..!

قال لصاحبه وقد مضت بهما السنون: كيف أحوال الجماعة؟
أجاب: تفرقوا!

سأل الصاحب: وكيف حال الاثنين؟

أجاب: أصبحوا ثلاثة!

وسأل الصاحب: ما أحوال البعيد؟

أجاب صاحبه: صار قريباً!

أما سؤاله عن الجماعة فكان يقصد الأسنان وكانت قوية متقاربة فتفرقت، وسقط منها ما سقط. وسؤاله عن الاثنين فكان يقصد قدمي صاحبه وساقيه وكان يعينانه على شق الطريق والسفر الطويل، فأصبحا ثلاثة إذ احتاج إلى أن يتوكأ على العصا. وسؤاله عن البعيد فكان يقصد به النظر وكان قوياً حاداً يرى من خلاله الأثر البعيد، ومع طول الدهر ضَعُفَ فأصبح الصاحب لا يرى إلا القريب.

وفي المجتمع العربي المعاصر مجموعة غير يسيرة في هذه الحكم التي تحتاج إلى سامع فاهم يفسر عموم الكلام ويدرك الكنه والمراد. رغم أن المجتمع العربي المعاصر - وخاصة منه جيل الآباء والأجداد - كان قليل

الحظ من العلم المنهجي، ولذلك كان - ولا يزال - جزءاً غير يسير من هذا المجتمع يرمي بالأمية بالمفهوم السطحي للأمية والمقصود عدم القدرة على الكتابة والقراءة. وعندما يريد أحد أن يستجehl أحداً يرمي بما لديه من علم بأنه يقل بكثير عن العلم الذي كسبته الجدة. وتلكم تهمة يطيب للبعض أن يطلقها دون تحفظ، وكأن الجدة من أجهل خلق الله على الأرض لمجرد أنها لم تكن قادرة على الإمساك بالصحيفة بالوضع الطبيعي ولم تكن قادرة على متابعة الأحداث في لبنان أو أفغانستان أو حتى الصين. بل ربما لم يصلها شيء من أخبار الحرب العالمية الأولى أو الثانية؛ لأنها لم تتأثر بهما من قريب بفضل من الله.

وليس من المصلحة ولا من المناسب أن يرمى هذا الجيل بالجهل والأمية فقد كانت ولا تزال آثاره تتردد وتؤثر على المجتمع وتصدر فيها الكتب والروايات والقصص العجيبة، وتتردد في المجالس التي يغلب على جالسيها كبار السن ذوو التجارب الحية من أولئك الذين لم تقبل عليهم الدنيا، كما أقبلت على أولادهم وأحفادهم، فاضطروا للسفر بحثاً عن الرزق مخلفين وراءهم الأهل والولد أودعوهم رعاية الله وغابوا عنهم السنين دون وسيلة للاتصال مشافهة أو كتابة فتعلموا من مدرسة الحياة تلكم الجامعة المفتوحة متعددة التخصصات مختلفة الفترات.

ولدينا في المملكة العربية السعودية مجموعة من الإصدارات التي نقلت هذه المعاناة إلى الأجيال التي لم نعشها فكتب الشيخ عبد الله بن خميس وكتب الأستاذ عبد الكريم الجهيمان، وكتب آخرون كالمسلم مع العقيلات، وغيرها كثير تعد خير شاهد على أن إلصاق الجهل بهذه المجتمعات تهمة لا تستحقها هذه المجتمعات، فالجهل كلمة قوية ذات شمول يصعب إطلاقها على مجتمعات بعينها دون تقييدها بنوعية خاصة من الجهل.

جهل المتعلمين...!!

والتعلم والتعليم المنهجي بصوره الحديثة لا يعني مجال قدرة المتعلم على امتطاء صهوة الحكمة، فهناك من يكتبون ويقرأون ولكنهم لا يدركون من الحياة وتجاربها إلا ما هو في محيط هذا التخصص الدقيق الذي اتجهوا إليه، فأشغلهم عن متطلبات للحياة يضطرون لتحقيقها من خلال الاستعانة بالآخرين، ولو لم يتعد الأمر ذبح دجاجة أو إصلاح عطل يسير جداً بالسيارة أو كهرباء البيت. وبسبب هذا انتشرت محلات الخدمات اليسيرة تبحث عن أمثال هؤلاء تسترزق من ورائهم، فتجد أن عطلاً يسيراً في آلة كهربائية يحتاج بصاحبه إلى أن يأخذه إلى هذا «الكهربائي» الذي يجد أن حجم العطل مضحك إلى درجة أنه قد لا يتعدى انفصال التيار مثلاً، ولكنه - ولسوء في الأمانة - يستغل الموقف لصالحه ويسلب من صاحبنا المتعلم قسطاً لا بأس به من المال.

ولا يقتصر الأمر على هذا الجانب المادي من جهل المتعلمين، ولكنك تراهم في المجلس لا يحسنون الحديث، ولا يفهمون ما يدور في المجلس ولا يستطيعون الرد المباشر على الكلام الذي يوجه إليهم، إما لدعابة أو لأمر أعمق منها، وتراهم لا يعطون الجالسين حقهم من حيث قدرتهم على التعامل مع الحياة لمجرد أنهم لم يحصلوا على المؤهلات «العلمية» التي حصل عليها هؤلاء الجاهلون من المتعلمين. وتلكم ورب الكعبة مشكلة يصعب إدراكها من قبل مجموعة غير يسيرة من هذه النوعية من المتعلمين.

الهارب من الجهل:

كان أبوه من سدنة النار من أهل المجوس، يسهر على (راحة) النار يعبدها لتأكله. لم يرتح الفتى لهذا الأسلوب من التعامل مع الحياة، ولم

تقبل روحه التعامل مع النار كوسيلة لتفريغ شحنات الحاجة إلى التعلق بالقوة الأعظم. ذهب يبحث عن الحقيقة هارباً من الجهل «المطبق» فوقف على راهب فاسد فلم يعجبه أسلوبه في استغلال الدين. علم والده سادن النار المجوسي أن الابن سوف يعق النار فكبله بالحديد وقربه من النار أو قرب النار منه إكراهاً في الدين. ولكن الفتى يتحرر من الأكبال المادية والمعنوية ويذهب لراهب آخر يجد به صلاحاً، فيدله الراهب على بشائر خروج نبي عربي يهاجر من بلده إلى بلدة ذات نخل في الجزيرة العربية، فيهاجر الفتى إلى الجزيرة ويصاحب قوماً فيبيعونه - وهو حر طليق - إلى يهودي فلاح على مشارف يثرب، فيعمل عنده في الفلاحة وهو يترقب ظهور الرسول العربي، فيسمع حديثاً بين اليهودي «سيده» ويهودي آخر عن مقدم محمد - عليه السلام - إلى يثرب ووقوفه في قبا، فيستزید الرجل الأخبار، ولكن سيده اليهودي يلطمه على وجهه، ويخرج الرجل يبحث عن محمد ومعه زنبيل من التمر فيقدمه إلى محمد صدقة فلا يأكل منه هذا الرسول - عليه السلام - لأنه لا يقبل الصدقة، وفي اليوم التالي يقدم الرجل ومعه زنبيل آخر من التمر فيقدمه إلى الرسول هدية فيأكل منه وأصحابه، وكان في الأولى قد أعطى الصدقة لأصحابه ليأكلوا، ويتبع الرجل محمداً - عليه السلام - يحدّق في موضع بين كتفيه - عليه السلام - فيدرك الرسول مطلب الرجل الفارسي فيحسر عن كتفيه ويرى الرجل ختم النبوة فيستقر باله ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وكان الراهب الثاني الذي أخبره بظهور النبي العربي قد قال له إنه لا يقبل الصدقة، ويقبل الهدية، وبين كتفيه خاتم النبوة. ويستقر الرجل الباحث عن الحقيقة حينما رأى الحقيقة ماثلة أمامه متمثلة في الرسول الحق - عليه السلام - فينتسب إلى الإسلام ويهرب من عبادة النار إلى نعيم الجنة - بإذن الله - ويقربه الرسول منه حيث يقول: سلمان منا آل البيت. وحيث يقول هو:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم...
تجربة الحياة تمثلت في هذا الرجل المعمر الذي رفض الجهل
ولفظه بعد سعي في البحث عن الحقيقة يقال أنه امتد إلى ثلاثمائة سنة هي
مجمّل حياة وعمر سلمان الفارسي - رضي الله عنه - وما أحوج فارسي
اليوم إلى نماذج أخرى مصغرة من هذا النموذج العملاق . والعجيب أن
جملة غير يسيرة من أبناء فارس لا يدركون قصة سلمان الفارسي عليهم
يتأثرون بها فينبذون الجهل والجهالة ويقبلون على الله .

الجاهلية النسبية:

والمثال الذي أوردته في مطلع هذا الحديث كان مثلاً معاصراً، ولم
يكن وليد شيء من الجاهلية، وإن كان البعض يريد أن يسم أصحابه
بالجهل . وفي الجاهلية - قبل الإسلام - لم يكن العرب بالجاهلين جهلاً
مطبّقاً ولكنهم روحياً كانوا على جهل مع علم غير واضح بالقوة الأعظم،
فأخطأوا الطريق للوصول إلى الله فصنعوا التماثيل والأصنام لتقربهم إليه .
وكان لديهم الاستعداد وإن يكن لدى بعضهم العناد والإصرار رغم ظهور
الحقيقة . ولم يكونوا - فيما يبدو من آثارهم - يرغبون في الجهل
والجهالة، ولا يقدرّون من يرميهم بها ولو كانت جهالة نسبية . قال
شاعرهم:

وللحلم أوقات وللجهل مثلها ولكن أوقاتي إلى الحلم أقرب
ويقول آخر في الجهالة النسبية أيضاً:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ولذا فإن رمي المجتمع العربي قبل الإسلام بالجهالة الجهلاء أمر
يحتاج إلى نظر . ويجيء هذا الاتهام في محاول لإفهام الآخرين بأن
الإسلام جاء ليغير المجتمع من توجه إلى توجه آخر، وذلك ما حصل .

ولكن العرب لم يكونوا على قدر كبير من الجهل والجاهلية والجهالة بحيث تتغير حياتهم تغيراً جذرياً فقد أقرهم الإسلام على أمور، وهذب أموراً كانوا يمارسونها، ونهاهم عن أمور لم يكونوا جلّهم مرتاحين لها. ولعل من المصلحة عدم الإغراق في رمي المجتمع العربي قبل الإسلام بالجاهلية الجهلاء، إذ ربما كانت نتيجة هذا الرمي عكسية غير مرغوب فيها. كما أنه لم يكن من واقع الحال ذلكم الوقت أن العرب كانوا على قدر كبير من الحضارة والثقافة والعلم. وخير الأمور أن يصوّر ذلكم المجتمع على ما كان عليه.

وعلى أي حال فالجهل أنواع، قد لا توجد متحققة في مجتمع بعينه، أو في فرد بذاته، وتجنب الجهل بأنواعه كلها مكسب عظيم ومطلب غير يسير.

محطات وزن الأفكار..!

ما الذي تعنيه الكلمة «العربية»؟ هل المقصود هنا مجموعة من الأفراد رجالاً ونساءً يتحدثون العربية؟ هل المقصود مجموعة من الأفراد رجالاً ونساءً يلتقون في مقومات عدة منبعها المنطقة العربية؟ يبدو أننا تخطينا مرحلة ما يسمى بالقومية العربية التي ظهرت واضحة الدعوة إليها في السبعينات والثمانينات الهجرية/ الخمسينات والستينات الميلادية. أصبح البعض يخجل الآن عندما يتحدث عن القومية بمفهومها السابق، وإن كانت كثير من المطبوعات العربية تتحدث عن هذا المصطلح دون وعي لمدلولاته، فتذكر كلمة «القومية» عندما تريد الحديث عن الوطنية. وهناك المراكز والمعاهد والمؤسسات الوطنية التي تحمل اسم القومية - مثل المركز القومي للتوثيق، والمعهد القومي، والمؤسسة القومية، ويراد بها ما يخدم الوطن ولا يخرج عنه إلا على سبيل التعاون. وقد تنبعت الجامعة العربية لهذا المصطلح وعدم جدوى ذكره فكان هناك معهد المخطوطات العربية (وليس القومية) المنبثق عن المنظمة العربية (وليس القومية) للتربية والثقافة والعلوم وهناك العديد من المؤسسات العلمية التابعة للجامعة العربية أغفلت هذا المصطلح.

وهل يعني إغفال مصطلح «القومية» التخلي عن العربية بكل ما فيها

من خير نافع؟ كانت هذه ردة فعل لدى البعض من أبناء العرب نصبوا من أنفسهم حماة لكل ما هو غير عربي وإن لم يعلنوا موقفهم السلبي الواضح من القومية العربية ومما هو عربي. فترى الاستيراد واضحاً فيهم ولديهم. فالحياة عندهم لا تختلف عن الحياة في مجتمع آخر غير عربي. وغالباً في مجتمعات متقدمة. وليس الحديث هنا من السطحية بحيث يعطي أمثلة للممارسات الشخصية في العادات والتصرفات. فتلكم عادات مستهجنة. ولكنها لا تبني عن خلفية قوية في الدعوة إلى كل ما هو غير عربي. فعندما نرى رجلاً قد حشى غليونه بالتبغ وصار ينفث منه الدخان وحمل معه «العدة» ينقلها من مكتب إلى آخر ومن مجلس إلى آخر لا نرى فيه خطراً؛ لأنه استورد الغليون بدلاً من لفافة التبغ، إذ إن كليهما مستورد في الأصل، والخطر منهما مشترك ويعود بالدرجة الأولى على الفرد قبل أن يعود الخطر على المجتمع.

ولعل الحديث هنا فيه شيء من العمق عندما ينصب الاستيراد على الأفكار. فيتبنى البعض فكراً أو فكرة كل ما فيها أنها مخالفة لما قام عليه المجتمع العربي منذ أن كان للمجتمع العربي كيان متكامل صار يحمل فكراً بعد حرب البسوس وداحس والغبراء. إذ إن حرب البسوس لم تكن لتحمل فكراً تدافع عنه، وكذا الحرب الثانية. وليس مقياساً للعقل العربي، ولكننا نتحدث عن هذا العقل عندما أصبح يحمل رسالة اهتزت لها أرجاء الأرض اهتزازاً ومعها بدأت المؤامرة العالمية الكبرى على هذه الرسالة، لا شيء إلا لأنها تهدد الأطماع الشخصية وتقوض الامبراطوريات التي قامت على استعباد البشر والاستيلاء على خيراتهم. هي بكل هذه البساطة وإن لم تكن بكل هذه السطحية. ولا نحتاج إلى الطلاسّم والرموز في سبيل أن يقبل منا هذا الكلام، فقد عودتنا هذه الرسالة السامية أن نكون بسطاء، ولكنها عودتنا في الوقت نفسه ألا نكون سذجاً نطأطئ الرأس

لكل شيء. وعليه فإننا لا بد أن نقف موقف الحذر لكل ما هو مستورد. لا بد أن نقيم محطات للوزن. نزن فيها الأفكار كما تقام محطات وزن الشاحنات على الطرقات البرية. فما لا يناسبنا من أفكار نقف دونه، نحول دون أن يكون له شأن بيننا. وليس أشخاصاً أولئك الذين يحددون سلامة الأفكار من عدم سلامتها، إنه المنهج الذي يوضع في كل محطة وزن للأفكار فما ناسبه يقبل، وما لا يتعارض معه يقبل. وما يهدد كيان هذا المنهج يرد وبكل وضوح. رأيتم هنا أننا نقبل نوعين من الأفكار لا نوعاً واحداً. نقبل من الأفكار ما يناسب منهجنا وما لا يتعارض معه. ونرد فقط ما يهدد كيان المنهج. وعليه فلا غرابة أن نقف من المستورد هذا الموقف الحازم الذي جعل كثيراً ممن ساروا وراءه يعيدون النظر في سيرهم ويتوقفون للحظات، يزنون أفكار هذا المستورد بميزان المنهج، فيجدون أنه يهدد كيان المنهج فيتوبون عنه ويقلعون ويحاولون «التكفير» عما انزلقوا فيه وما آلوا إليه من التيه الفكري. ولا يزال آخرون يصرون على المستورد. ولا تزال طائفة منهم تستورد. ويقف الآخرون وقفات علمية وثائقيّة صادقة يبينون للمجتمع من هذا الفكر المستورد فيكون الإقناع قوياً؛ لأن الوقفات كانت علمية. ولا يهمنا هنا المصطلحات التي يدور حوله هذا الحديث، إذ إن من الأزمة الفكرية التي يعيشها المجتمع العربي عدم قدرته الآن على استيعاب المصطلحات وعدم الوضوح الشامل للفكر المراد وراء هذه المصطلحات. فهناك مصطلحات التراث والمعاصرة والأصالة والحدائث والرجعية والتجديد، وغيرها من المصطلحات التي توحى بأن هناك صراعاً عنيفاً في الفكر العربي. ولعله كان وليد الجمود الفكري الذي مرت به الأمة العربية إثر الهيمنة الاستعمارية وقبل هذه النهضة العلمية التي تعم البلاد العربية دون استثناء.

وعلينا أن نكون بسطاء مع أنفسنا ومع الآخرين فنقر أن الفكرة تبقى

هي الفكرة. فلا تتغير عندما نلبسها ثوباً غير ثوبها الذي بيعت فيه. وقديماً عندما كانوا يتحدثون عن الاشتراكية قالوا إنها اشتراكية عربية لا تخرج عن الإطار الإسلامي (!) وجعلوا من قادة وزعماء الفكر العربي والإسلامي اشتراكيين، ولكن لأن الفكرة لم تتغير لم يناسبها الثوب العربي وهكذا مع بقية الأفكار الأخرى. والذين يتحدثون الآن عن فكرة المعاصرة أو الحداثة على أنها حادثة عربية - أو إسلامية في حدود الشريعة (!) فإنهم يحاولون أن يلبسوا هذا الاتجاه الثوب العربي، ولكنه لا يناسب ولن يناسب رغم كثرة المفصلين. وليس أدل على عدم مناسبته ما يتردد أحياناً من إنتاج في هذا الاتجاه إنما هو إساءة لكل ما هو عربي إسلامي يقع فيه البعض مبطناً بالرموز والطلاسم. فيوزن هذا الإنتاج بميزان المنهج فيتضح فيه الاتجاه الذي يهدد كيان المنهج الذي نسير عليه وتسير عليه بقية الأمة.

ولا يضير في الوقت الراهن أن تكون الساحة الفكرية قد أوقفت في معظمها على هذا الاتجاه الفكري أو ذاك مما يتعارض مع المنهج، فتلكم فترة «تخمر» فيها الأفكار ولا تلبث أن تتضح للآخرين من خلال التوضيح «البسيط» لما يدور في الساحة من خلال الغوص في عمق الفكرة نفسها للتعرف على مبعثها أولاً ودوافعها ثانياً وأهدافها ثالثاً ثم أشهر من يتبنونها ومن يروجون لها عالمياً على اعتبار أنها فكرة عالمية، وليس محلياً على اعتبار أننا نعتقد أن المروجين لها محلياً ليسوا - أكثرهم - يدركون ما تريد الوصول إليه بدليل «تبطينهم» لها بالمحلية أو بالصبغة المنهجية التي تتناقض معها أو تناقضها. ولأننا نعيش في مجتمع واضح الفكرة تطبق فيه تعاليم المنهج في مستوى شامل لا أستبعد رجوع الكثيرين من المحليين عن فكرة المعاصرة أو الحداثة بمفهومها الفكري الذي يسيطر على الساحة الفكرية الآن لا بمفهومها اللغوي الذي لا يناقض المنهج الإسلامي ولا يتعارض معه. ومصطفى هداره يفرق بين المعاصرة والحداثة، ذلكم أن

المنهج الرباني لا يقف ضد المعاصرة أو الحداثة هكذا، ولكنه سيقف في طريق المفهوم الفكري لهذين المصطلحين لما يدعوان إليه من نبذ كل ما هو قديم أو أصيل أو تراثي بما فيه المنهج نفسه، وحينما يُطلق على هذا المنهج عبارة توحى بالتقييد والتعقيد والسجن وغيرها من الألفاظ السلبية التي لا تليق بالمنهج؛ لأنها لا تنطبق عليه.

والموقف من العربية لا يتوقع منه أن يأخذ منحى السبعينات والثمانينات الهجرية/ الخمسينات والستينات الميلادية، ولا يتوقع منه أن يأخذ منحى العشرات والعشرينات الهجرية/ الثمانينات والتسعينات الميلادية - إن صح أن يسمى هذا منحى - ولكن الأولى أن ينظر إلى العربية لغة وأمة وفكراً على أنها تخدم منهجاً شاملاً هو البديل الوحيد لكل منهج موجود أو زائل أو سيوجد. وعليه فإذا التمس المرء العذر للآخرين الذين لم يعثروا على هذا المنهج أو عثروا عليه فهدد مصالحهم الشخصية، فإنه لا عذر لأولئك الذين يعيشون في المنهج وبيتعدون عنه. فإن كان هناك أزمة فهم فلا بأس من أن يمضي المرء وقتاً ليفهم، لكن أن يناصر المنهج العداء لأنه يجهله، أو لأنه يعيشه من خلال أفراد أساءوا تطبيقه وتقديمه للآخرين فهذا أمرٌ يحتاج إلى شيء من إعادة التفكير. ولأنني أعلم أن فكرة المعاصرة والحداثة لم تتبلور بعد وأن هناك مجموعة غير قليلة ممن يميلون إليهما لا يدركونهما تماماً، وأن هناك مجموعة غير قليلة ممن يقفون ضدهما يقفون وقفات عاطفية، وأن الذين يميلون إليهما - في معظمهم - سيعودون عنهما عندما يتضحان؛ لأنني أكاد أعلم هذا أجدني هنا أدعو إلى مزيد من الحوار الهادئ البناء تتاح فيه الفرصة لكل دون أن يكون اتجاه المجال مفتوحاً على حساب الاتجاه الآخر كما حدث في بعض اللقاءات الفكرية والأدبية السابقة. وكان الله في عون الجميع.

المتخرجون من مدرسة رمضان

لعل اليوم/ السبت/ يوافق احتفال المسلمين بعيد الفطر المبارك، إن لم يكن الاحتفال بالأمس الجمعة. وكان المسلمون قد أمضوا شهراً كاملاً في مدرسة رمضان حيث الدروس المكثفة/ وموادها: صيام، قيام، قرآن، زكاة، صدقة، تربية النفس، قهر الذات إلى غير ذلك من المواد. والحق أن البعض قد تخرج من هذه المدرسة الوحيدة التي يرغب الناس التخرج منها دون تعثر أو إظهار التفوق، وإنما يظهر التفوق عندما تظهر النتائج النهائية وكشوف العلامات. وهذه تتأخر نوعاً ما. والبعض يخرج من مدرسة رمضان وهو يكتن في نفسه شيئاً من الرضا عندما يحاسبها فيجد أنه قد ختم قراءة القرآن الكريم، وتصدق في أكثر من موضع وحفظ جوارحه كلها من الانزلاق هنا وهناك، واقتصد في أكله وأكثر من القيام، ومع هذا كله فلم تتعطل مسؤولياته المعتادة كالعمل أو الدراسة أو البحث عن رزق الله.

ومع هذا الشعور بالرضا إلا أن النفس تتطلع إلى المزيد، فالمسلمون بعد الخروج من رمضان المبارك يدعون ربهم ستة أشهر القبول، ثم يدعون ربهم الستة الأخرى أن يبلغهم رمضان القادم ليعملوا بمواده أكثر مما عملوا في رمضان المنصرم. فرمضان المدرسة الوحيدة

التي يرتادها المسلمون كل عام ويتخرجون منها كل عام ولكنهم يعودون إليها - إن بقوا - في العام القادم يدرسون المواد ذاتها بشكل مكثف أكثر مما كان عليه .

ورغم أن حفلة التخرج تكون ذات بهجة يفرح فيها الكبير والصغير في يوم عيد يأكل فيه الناس ويشربون، إلا أنه يشوب هذه البهجة والفرحة شيء من الحزن على وداع هذا الشهر المدرسة، ولذا تجد البعض يصر على إتباع هذا الشهر بستة من شوال وكأنه في قراره نفسه يتمنى أن صام الدهر كله في نهاره وقام الدهر كله في ليله . ولكنها الحكمة التي تحجم الإنسان عن الغلو في مثل هذه العبادات الموقوفة بأحكامها، والحكمة تجعل لهذا الراغب في الصيام مجالات يواصل بها التردد على هذه المدرسة كالأيام البيض وأيام الإثنين والخميس وصيام يوم عاشوراء من محرم الحرام ويوم قبله أو بعده، وصيام يوم عرفة لغير الحاج، وهكذا يظل الراغب على صلة ودية - غير إلزامية - بالمدرسة الرمضانية .

شيء جميل حقاً أن تكون مواد مدرسة رمضان تدرس في كل مكان في بلاد المسلمين وغير بلاد المسلمين حيث الأقليات والجاليات المسلمة، والجميل أن مدرسة رمضان في بلاد غير المسلمين واضحة على الوجوه والقسمات، وقُلَّ أن تجد من المسلمين في هذه البلاد من لم ينخرط في المدرسة، ولكن هذا القليل مزعج حقاً ليس للمسلمين فحسب، ولكن لغير المسلمين الذين يدركون أن كل مسلم لا بد أن يحضر دروس رمضان، فتراهم يستغربون عندما يجدون فرداً أو أفراداً قد تخلفوا عن هذه المدرسة . وكان طالب من الطلبة المسلمين يحمل كوباً من القهوة في نهار رمضان فيقابله أستاذه غير المسلم ويسأله باستنكار ما هذا يا فلان؟ فيقول الطالب: لقد أكثرت من شرب الشاي فأثرت أن أشرب القهوة! فيرد أستاذه ما عن هذا سألت يا هذا . أأنت مسلماً؟ فلا

يملك الطالب إلا أن يجيب بالإيجاب ومشروع قطرات من عرق الإحراج يبدأ يأخذ طريقه على جبهته . إذا لَمْ أنت مفطر ما دمت مسلماً؟ يسأله أستاذه . فيسقط في يده ولا يكاد يحزر جواباً . وكان يظن أن أستاذه سيشجعه على الإفطار وترك الصيام لأولئك - المحافظين - وتكون النتيجة أن يرمي هذا الشاب كوب القهوة ويعود في اليوم التالي وقد عاهد النفس على الرجوع إلى الله صياماً وقياماً وصلاة وتزكية نفس . فيدخل مدرسة رمضان من أوسع أبوابها بعد أن اهتز قليلاً .

وفي هذا دلالة على أن مدرسة رمضان لم تؤثر في المسلمين فحسب ، بل إن غيرهم كان لهم نصيب من هذا التأثير ، وكم كانت مدرسة رمضان سبيلاً من السبل التي انتهت بالآخرين إلى أن يسجلوا في موادها بداية انطلاق نحو الهداية والوصول إلى الطريق الصواب . وإن لم يصل الأمر إلى هذا فكفى أن يحترم الآخرون هذه المدرسة وموادها وأن يتوقعوا من طلبتها الاستقامة والاعتدال والإخلاص مع النفس ومع الآخرين ما داموا قد أخلصوا في هذه المدرسة لله تعالى . ويذكر جيل لا يزال أفرادهم موجودين أن مديراً لمشروع من المشروعات الميدانية لم يكن مسلماً ويشرف على عاملين مسلمين علم بقدوم رمضان المبارك وكان الوقت حراً ، فجمع عماله وتحدث إليهم عن أهمية المشروع وأنه لا ينبغي أن يعترض العمل به أية عوامل تعيق تقدمه ، وما دام رمضان قادماً فإنه يتوقع أن يعوق رمضان سير العمل ، ولذا فإنه يدعو إلى إفطار عماله ولا يملك إجبارهم على الإفطار ، ولكنه سيجزل المثوبة للمفطرين مع نهاية عمل كل يوم ، فتبادل العاملون النظرات ، وأسقط في يد البعض منهم ، ولكن البعض الآخر كان مصمماً على الانخراط في المدرسة مهما قلّت مثوبة رئيس المشروع .

وبعد استراحة نصف الدوام جمع رئيس المشروع عامليه وطلب من الصائمين أن يصطفوا عن يمينه ومن المفطرين أن يصطفوا عن شماله ، ولم

يكن يتوقع أن يصطف عن شماله أحد، ولكنه وجد بعضاً منهم من أولئكم الذين أثروا مثوبة الرئيس على مثوبة رب الرئيس. وما كان من الرئيس إلا أن شكر الصائمين على إصرارهم على متطلبات دينهم، والتفت إلى المفطرين وطلب منهم مغادرة المشروع مطرودين، مؤكداً لهم أنهم ما داموا غير مخلصين من ربهم فلن يكونوا بعد هذا مخلصين مع أحد من العاملين، وكانت المضاعفة في المكافأة قد ذهبت إلى أولئكم الصائمين. وهذا درس آخر من دورس رمضان تخرج منه أناس وأخفق فيه آخرون، درس جاء من طريق غير مباشر من أولئكم الذين يتمنون أن يستفيدوا أكثر من مدرسة رمضان ولكن تحول دون ذلك عوامل خارجية أخرى.

ولعل من مواد مدرسة رمضان تلکم المادة المكثفة المتوقعة في ليلة السابع والعشرين من رمضان حينما يجتمع المسلمون في المساجد والجوامع يترقبون أن يكون لهم نصيب من النجاح في هذه الليلة، وفي الحرمين الشريفين يجتمع أكثر من مليوني مسلم في وقت واحد وبنظام واحد وخلف إمام واحد. مشهد رائع وعجيب لا يملك من يشهده من قريب أو بعيد إلا أن يذرف تلکم الدمعة النادرة التي توحى بقوة العلاقة بمن جمع هؤلاء جميعاً في مكان واحد. تلکم الدمعة التي تتطلع إلى أن يجتمع أكثر من هؤلاء بحيث يصل العدد إلى البليون/ المليار تحت قيادة إمام واحد، فالقادر على جمع هذين المليونين وراء إمام واحد قادر على جمع المليار وراء إمام واحد.

وهنالكم مجموعة أخرى من الدروس والمواد في هذه المدرسة الفريدة، والسعيد من سجل بأکبر قدر من مواد هذه المدرسة وأعطاه حقها من العمل وترك هم الإجابة وفوض الأمر للمجيب، وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول: إنه كان يحمل هم الدعاء ولم يكن يحمل هم الإجابة. جعلنا الله وإياكم من المقبولين، وكان الله في عون الجميع.

مع الذين يستيقظون في الظلام!

يروى الشيخ سيد سابق أنه كان في مدينة أوروبية يحاضر في أحد المراكز الإسلامية هناك عندما ظهر عليه وعلى من معه مجموعة من القسس واجتمعوا بالقائمين على المركز وعرضوا عليهم أن يسلموهم الكنيسة التابعة لهم ليحولوها لمسجد ينشرون من خلاله دعوة الإسلام. لم يقف العرض عند هذا الحد، ولكنه تعداه إلى أن يطلب هؤلاء القسس من القائمين على المركز أن يهتموا بأولاد النصارى هناك ويربوهم تربية إسلامية صالحة، وكانت حجة هؤلاء أن كنيستهم قد فشلت في أداء هذه المهمة فاختلط عليهم أبنائهم فلم يعلموا بعد منهم الذكر من الأنثى في ظاهر القسمات والتصرفات. خطوة كهذه لم تأت نتيجة خاطرة مرت على قس واحد فجمع أصحابه واتجه إلى المركز الإسلامي يعرض عليه ما عرضه، لكنها فكرة طال التفكير فيها واتبعت أساليب متعددة قبل الإقدام على هذه الخطوة في سبيل عدم الإقدام عليها، ولكن الذي يبدو أنه لم يكن هناك حل أفضل من أن تسلم الكنيسة على ما ترمز إليه إلى المسلمين ليحولوها إلى مسجد على ما يرمز إليه.

في إحدى قنوات التلفزيون الفرنسي يستضيف برنامج مقابلات رجلي دين من المسيحيين فيناقش معهما مقدم البرنامج مجموعة من

المشكلات التي تعترض شباب فرنسا اليوم - وبالمجمل شباب أوروبا -، وينتهي مقدم البرنامج إلى السؤال عما إذ كان لدى هذين القسيسين حل لبعض هذه المشكلات - إن لم يكن لمجملها أو كلها - ولكن الرجلين يجيبان بالنفي والحسرة تبدو عليهما، ثم يسأل عما إذا كان هناك حلول مطروحة على الساحة يمكن من خلالها إنقاذ الأمة مما هي فيه، فيجيب الرجلان بأن الحلول موجودة في الإسلام!

وفي مدينة من مدن أمريكا يقوم مسجد - لعله أسس على التقوى ونحسبه كذلك - برنامج يومي لطيف وهادئ، يعمد المسجد إلى تقديم وجبة غداء - وهي عادة خفيفة - للأطفال المسلمين، أولاً، ثم بدأ أطفال غير مسلمين يترددون على المسجد وقت الظهيرة، وكان يصحب الغداء حديث - على مستوى الأطفال - عن الإسلام، فصار الأطفال غير المسلمين يكتسبون من هذا الحديث شيئاً، وخاصة أنه يركز على جوانب يراود من الطفل الذي لم يصل العاشرة من عمره أن يتسم بها أو يبتعد عنها. وتوقع البعض من القائمين على هذا البرنامج أن يخف توارد الأطفال غير المسلمين إذا علم أهلهم ما يصحب وجبة الغداء من وجبة دينية، ولكن الذي يبدو أن الأطفال يزدادون يوماً بعد يوم، بل إن أهلهم بدأوا يرتادون صالة الطعام مع أطفالهم، لا ليأكلوا ولكن ليشرفوا على البرنامج ويقابلوا القائمين عليه ليشكروهم على شيء من التحول في السلوك بدا على أولادهم. فيسأل أحد القائمين على البرنامج، وهو ذلكم الذي توقع أن يخف توارد الأطفال هؤلاء، يسأل الأهل عما إذا كان قد دار في خلدكم أن هناك إمكانية في تحول هؤلاء الأطفال إلى الإسلام على المدى البعيد، ويجيب بعض الأهالي بأن ذلك وارد لا شك فيه ويدعون القائمين على هذا المسجد إلى العمل على تثقيفهم إسلامياً في سبيل الوصول إلى قناعة تامة تجعلهم يعلنون إسلامهم، فهم هنا لا

يخافون على أولادهم دخولهم في الإسلام، ولكنهم يخافون على أنفسهم
عدم دخولهم في الإسلام!

هذا على المستويات الاجتماعية العامة، أما على المستويات
الاجتماعية الخاصة جداً مثل تلكم التي يكون ميدانها البيت، فإن كثيراً -
أو نسبة لا بأس بها - من شباب المسلمين الذين يتغربون في أوروبا
 وأمريكا يعمدون إلى الزواج من بنات أهل البلاد وغالباً ما يكن غير
مسلمات، وبغض النظر عن الدوافع الأخرى لهذا النوع من الزواج، فإنه
ينتهي بقيام علاقة متينة بين شخص مسلم هو الرجل وآخر غير مسلم هو
المرأة. فيشير هذا شيئاً من عدم الارتياح الروحاني لدى المرأة ولدى
الرجل في غالب الأحيان مهما كان الرجل بعيداً عن ممارسة دينه والقيام
بالفروض والواجبات عليه، ومن هنا تبدأ مرحلة في البحث عن أسلوب
للتلاقي الروحاني غالباً يأتي عن طريق المرأة، فتنهال الأسئلة على الرجل
ليجيب عنها بما يعلم، وغالباً تكون معلوماته عن الأصول واضحة ولكنه
يتعثر أحياناً في الوصول إلى أجوبة حساسة في الفروع وفي مسألة نظرة
الإسلام لقضايا مصيرية مثل منزلة المرأة وتربية الأطفال والنظرة الإسلامية
للاقتصاد والسياسة والعلاقات الإنسانية الأخرى. يجيب الرجل بما لديه
ولكنه لا يقتنع فيحس بهذا التقصير، ويوحى بذلك لمن حوله من
المسلمين فيدلونه على بعض المعلومات التي تشبع رغبته، والنهاية أن
المرأة تبدي رغبتها في الدخول في الإسلام فتكون سبباً في هداية زوجها
ودافعاً له إلى العودة إلى دينه فيرتاد المساجد والمراكز الإسلامية، وقد
حدث مثل هذا في مركز إسلامي في مدينة ألمانية. وكان يعقد في هذا
المركز ندوة إسلامية حضرها مجموعة غير يسيرة من الشباب المسلمين،
فتأتي امرأتان يبدو عليهما شيء من الارتباك والحياء وعوامل أخرى داخلية
فتسألان عن المسؤول عن المركز فتدلان عليه لتعلنا إسلامهما وتبينا أنهم

تحت قوامة رجلين مسلمين . ويأتي الرجلان ويحضران شيئاً من الندوة ويبدو لهما ما لم يكن قد رأياه من قبل ، وكون هذه خطوة أولى في طريق العودة إلى الله . وهذا الحديث لا يغفل وجود نوعيات من أبناء الإسلام تصر على عدم العودة إليه وتقدم في سبيل ذلك صوراً مغلوطة غير واضحة عن الإسلام ، ولو وقع هؤلاء في أيدي أولئك الذين يعرفون الحق كان لهم شأن آخر ؛ لأن المرء مهما شط عن طريق الفطرة إلا أنه لا بد أن يعود إليه ما وفق إلى من يقدمه له على حقيقته صورة واضحة جلية . وهذا الحديث لا يغفل أيضاً وجود نوعيات من الزوجات يكون تأثيرها الروحاني على زوجها أكثر من تأثيره عليها ، ويبدو ذلك واضحاً في مصير الأطفال الذين يتربون على يديها ، بغض النظر عن استمرار العلاقة الزوجية بين الأبوين أو عدم الاستمرار ؛ لأن القانون الغربي يقف هذه الناحية في صف المرأة .

وإذا كان الحديث هذا لا يغفل هذه الجوانب فإنه محاولة لإبراز جوانب مضيئة قد لا يراها الكثيرون في مجتمعات يستبعد البعض أن تقع فيه .

وهذا ربما جر إلى المستويات العلمية التي تشهد بين الفترة والأخرى دخول بعض فطاحل علماء الغرب وفلاسفته في الإسلام أو لنقل على أقل تقدير تفرض بعض المواقف احترام هؤلاء العلماء للإسلام مما يكون سبباً غير مباشر لدخول الغير في الإسلام . يذكر أن مدير الغرف الصناعية في ألمانيا الاتحادية دعا إلى الأخذ بالنظام الاقتصادي الإسلامي لبنوك أوروبا وأمريكا وبنوك العالم ومؤسساته المالية . جاء ذلك بعد ندوة عقدت بين علماء الاقتصاد الإسلامي وعلماء الاقتصاد الغربي . والنتيجة أن الذين يستيقظون في الظلام - كما يحلو للشيخ محمد الغزالي أن يسميهم - ويرون نور الروح يزدادون يوماً بعد يوم وعلى مختلف

مستوياتهم الثقافية والفكرية والعلمية . وفي المقابل فإن أولئك الذين
ينامون في النهار ينقصون يوماً بعد يوم كلما أتيح لهذا الدين رجال يبرزونه
للآخرين على حقيقته التي جاء عليها، ورجال يقفون بما أوتوا من سعة
في الرزق وراء المشروعات العلمية الإسلامية شرقاً وغرباً يرعونها
ويعمرون مساجدها ويفتحون مدارسها ويتبنون مؤتمراتها وندواتها .
ورجال يقفون بما أوتوا من سعة في العلم والفكر والثقافة وراء النشاط
الفكري والعلمي والثقافي الذي تتمخض عنه مثل هذه المشروعات . فكان
الله في عون الرجال ، وكان الله في عون الجميع .

المسلمون - العدد ٧٩

١٤٠٦/١٢/٤ هـ الموافق ١٩٨٦/٨/٩ م

وقفة مع الباحثين عن الحقيقة..

إن البحث عن الحقيقة أمر صاحب الإنسان منذ أن خلقه الله - تعالى -- ويذكر عند الحديث عن الحقيقة أن أحد فلاسفة اليونان كان يحمل في النهار مصباحاً مضاءً، فلما سُئِلَ عن سر هذا التصرف غير المعتاد من العاقلين أجاب بأنه كان يبحث عن الحقيقة! ولكن ما تلك الحقيقة التي كان يبحث عنها ذلك الرجل؟ هل كانت حقيقة الوجود؟ أم كانت حقيقة نهاية هذا الوجود؟ أم هي حقيقة هذا الكون وما فيه من مجموعة من الخلائق التي تسير بأسلوب بديع حكيم؟

والذي يبدو أن الإنسان قد طبع على البحث عن الحقيقة. وقد بحث إبراهيم - عليه السلام - عن حقيقة إحياء الموتى، فسأل الله أن يريه كيف يحيي الموتى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى. قَالَ: أُولِمَ تَوْفَن؟! قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي.﴾ [من الآية ٢٦٠ من سورة البقرة]. وقد تطلع موسى - عليه السلام - إلى أن يرى الله حقيقة - أي يرى ذاته - وذلك بعد أن آمن بحقيقته وذاته: ﴿قَالَ: رَبِّ ارْنِي أَنْظِرْ إِلَيْكَ. قَالَ: لَنْ تَرَانِي، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الآية ١٤٣ من سورة الأعراف]. وذات الله حقيقة ولكنها لا تدرك مباشرة: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الآية ١٠٣ من سورة

الأنعام]. وعدم إدراك ذات الله - سبحانه وتعالى - مباشرة لا تعني عدم إدراكه - تعالى - من حيث وجوده من خلال مجموعة كثيرة من الآيات التي تدل على وجوده - تعالى -. ولكن بعض العقول قد ترفض هذا الإدراك غير المباشر؛ لأنها لم تكلف نفسها التفكير بهذا الاتجاه فتطلعت إلى أكثر من ذلك.

فإذا كان الإنسان قد طبع على البحث عن الحقيقة كما كان يبحث عنها ذلك الفيلسوف فقد كفينا نحن الإجابة عليها منذ آلاف من السنين، نقلها إلينا الأنبياء والمصلحون عن طريق الوحي بالنسبة للأنبياء والاتباع بالنسبة للمصلحين. ولم يأت أحد من عنده بجديد، وذلك لأنه لا يستطيع أحد أن يأتي من عنده بجديد في مجال الحقيقة. وأن يرفض البعض هذه الإجابات عن الحقيقة عن هذا الطريق ويبحث عن غيرها عن غير هذا الطريق فهو يعلن على نفسه وعلى من أراد أن يعيش في محيط الشقاء والتعاسة؛ لأن الذي يبدو أن هناك تطلعات وأسئلة عن الحقيقة يتعذر على المرء إدراكها مجرداً من إلهام خارج عن هذا العقل المحدود.

وعندما يتحدث المرء عن محدودية العقل عن إدراك كل شيء حوله فإنه لا يعني ذلك قصوراً عن وظيفة العقل التي خلق العقل من أجلها، ولكنه يعني أن العقل يذهب أحياناً إلى أكثر مما يراد منه. وهنا يبدأ المرء في عدم الاستقرار العقلي والروحي إلى أن يقتنع بالحقيقة التي جاءت عن طريق الأنبياء والمصلحين، أو يستمر في بحثه هذا منفرداً فلا يجد الحقيقة مهما طال به البحث ولعل هذا مما يبرر موقف الإسلام في جانب العقيدة من الفلسفة عموماً ومن الفلسفة اليونانية خصوصاً لما جرت به هذه الفلسفة من عدم استقرار عقدي لأولئك الذين نصبوا من أنفسهم باحثين عن الحكمة، ومن البحث عن الحكمة البحث عن الحقيقة.

ولعل من الذي يجعل البعض لا يكتفي بالإجابات عن الحقيقة التي

جاء بها المرسلون أن هذه الإجابات تستلزم من المقتنع بها أن يتبع هذا الإقناع (الإيمان) بما يشبه في عالم من المحسوسات. ولذلك قال علماء العقيدة عن الإيمان إنه ما وقر في القلب وصدقه العمل، فلا يكفي أن يؤمن القلب فقط. والتصديق بالعمل أمر قد يأباه غرور الإنسان. ولذا ترى البعض يعرض عن تلمس الإجابة على أسئلة كثيرة عن هذا الطريق فيحرم قسماً كبيراً من الطمأنينة لا يكاد يحس به إلا أولئك الذين عرفوا الحق عن هذا الطريق.

ويخطئ البعض عندما يغفل العقل في كل شيء حتى ليصبح في تعداد الإمّعات. وهذا الصنف مناقض تماماً لصنف ذلكم الرجل الذي حمل مصباحه مضاءً في وضوح النهار. فالأول معطل للعقل تماماً، والآخر حمل العقل فوق طاقته التي أتاحت له، فضل هذا وتاه ذاك.

وبمعزل عن تلمس الحقيقة من منبعها الوحيد وهو الوحي الإلهي، يؤدي البحث عنها بكثير من الباحثين إلى أن يخرجوا من هذا البحث بنتائج كان أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها مجموعة شطحات عقلية أودت بأصحابها إلى بعض التصرفات «غير المعقولة» في نظر كثير من العقلاء، وقد ظهر في فرنسا في الآونة الأخيرة فيلسوف بحث عن حقيقة الحياة والوجود فوجد أن حقيقة الحياة والوجود تتلخص في الموت فقط!

فالإنسان عند هذا الفيلسوف إنما خلق ليموت، وعليه فإن الإنسان لا يملك من هذه الحياة إلا أن يختار الطريقة المثلى للموت. وفي سبيل أن يحقق هذا الهدف عمد الفيلسوف إلى أن يختار لزوجته طريقة مثلى للموت بأن قضى عليها وهي على فراش النوم آمنة مطمئنة. وهذا ربما يوحى أن هذه الطريقة المثلى إنما هي في نظر الفيلسوف فقط، وهناك طرق مثلى أخرى في اختيار الموت لمن يعززون على أصحاب هذه الفلسفة، كأن يرمي شخص بمن يحب من شاحق أو يصعقه بالكهرباء، أو

يعرضه لغازات سامة، فاختيار الطريقة المثلى أمر نسبي خاضع لنظرة الشخص لأمثل طريقة!

والذي قد يتبادر إلى ذهن أي سامع لهذه الحادثة - أو النظرة الفلسفية للحقيقة والحياة - السؤال عن السبب وراء عدم تطبيق هذه الفلسفة على صاحبها أولاً بدلاً من أن تكون ضحيتها امرأة مسكينة لم يكن لها من الذنب - على ما يظهر - إلا أن تكون زوجة لهذا الفيلسوف؟!

قد يجيب الفيلسوف نفسه على هذا التساؤل بأنه قد أثر زوجته - ولو كان به خصاصة - بهذا الأسلوب في اختيار أفضل طريقة للموت؛ لأنه قد أحبها فقدمها على نفسه (ومن الحب ما قتل!!). ولعل الرجل لم يجد الشجاعة - ولن يجدها - لتطبيق فلسفته على نفسه، ولعله كذلك لم يجد القناعة التامة بهذه الفلسفة، تلك القناعة التي تجعله يبدأ بنفسه. ولا يتبادر إلى الذهن أن الرجل أراد من هذه الفلسفة أن تعم فبدأ باختيار مجموعة ممن أحب ليختار بعد ذلك الطريقة المثلى للقضاء عليهم، وذلك أن الرجل قام بتسليم نفسه حالما انتهى من تطبيق فلسفته على زوجته إلى أقرب مخفر للشرطة، واستسلم لأي حكم يترتب على فعلته التي فعل مع زوجته دون محاولة للدفاع المستميت في سبيل إقناع الآخرين بأن ما عمله هو عين الصواب، وأنه الهدف الأسمى من الحياة. والحق أن الرجل لم يكن سهلاً على فرنسا، فقد وصل أمره إلى رئيس الجمهورية حينئذ - جيسكار ديستان - فقال: إن تأكد ما تذكرون فعار على فرنسا أن يحبس عقلها! أدخلوه مستشفى الأمراض العقلية.

والذي يبدو أن هذا الرجل كان ينشر اكتشافه لحقيقة الحياة على من حوله من الجانب النظري، وقد حذا حذوه شخص أكاديمي آخر - ومع الأسف الشديد - في إحدى الجامعات العربية فتأثر بفلسفته هذه، واختار

لوالديه ذات الطريقة التي اتبعها أستاذه مع زوجته، ونال ذات المصير الذي ناله أستاذه من قبله.

ذلكم كان منطلقاً واحداً أخيراً من منطلقات عدة يبحث عن الحقيقة، فجعلت من العقل وحده أداة للبحث عنها مجرداً من العوامل المساعدة التي تختصر طريق البحث وتجعل من الإنسان - مهما كان قدره في المجتمعات - عضواً فعالاً فعالية إيجابية مع هذه المجتمعات همه البناء وتحقيق العبودية لله وحده من حيث كونها قمة الحقيقة وقمة أهداف هذا الوجود، بل هي الهدف الرئيسي الذي تدخل تحته أهداف أخرى تعين إلى الوصول إليه، وتلكم هي الحقيقة التي ساندها العقل وأوحت بها المحسوسات، وبعثت بها الطمأنينة والاستقرار في عقول وقلوب الكثيرين ممن اقتنعوا بها، وترجموا هذا الاقتناع إلى عمل. فكان الله في عون الجميع.

المتطيطرون.. ووقففة مع المنئحرفن!

جلس مجموعة من الغربفن وبنهم البرفطاني والفرنسف والأمرفكف والإفطالف والألماني والبرازفلف والأفرلنءف والفشفكف فف فوم الجمعة الفالف عشر من شهر ءفسمبر من عام ١٩٨٥ م. وهءا الفوم بالنسبة للكففرفن فعفر من «أشأم الأيام»؛ لأنه فوافق الفالف عشر من الشهر، وعلفه فإن إءءى الصفف الأوروففة السطففة ءءرت بالفف العرفض وفف صفففها الأولى من هءا الفوم وءكرت أن نسبة الءوافء ففه سوف فزفء على ٥٠٪ من معدل الءوافء لأفام الففف المعتاءة. وفوم الجمعة هفأك - كما فعلمون - هو بءاففة عطفة نفافة الأسبوع، ءفء فمفلء الففطوط البرفة السرفة بمجموعات من المسافرفن.

قال أءء هؤلآ الشباب المففمفعفن لصفبه أقرأتم الصفففة المءكورة، فأجاب آخر إنها صفففة «سوففة» لا فسفءق فمفها، فوافقه الأول على ذلك. وءكر لهم أنه قرأ ففها الفءءفر من مغبة فوم الفالف عشر، وقد نشرء الصفففة ففرفرأ من هفئة ءءماء الطرق فوضح ففه إمكانيفة ارففاف معدل الءوافء فف ذلك الفوم.. ففاطعه فالف قائلأ: إنه مجرد الففكفر فف هءا الفوم هو العامل الوحفء فف فزاففة الءوافء. فعفءما فءس المرء أن شفاء ما ففر عافف ربما فءصل له فف هءا الفوم، فإنه فف

الغالب يحصل له شيء غير عادي . فإذا كان يقود السيارة - مثلاً - وقد وضع في مخيلته هذا التوقع فإنه يجعل نفسه في حالة متوترة وأعصابه في قلق شديد يؤديان به في النهاية إلى أن يرتبك في قيادته للسيارة فيسبب في حادث . وليس هناك مبرر لهذه الزيادة غير هذا الإحساس ، وأردف الثالث يقول . . إن اليوم الثالث عشر كغيره من الأيام لا يخفى وراءه نشاطاً غير عادي ، وكان تأويله هذا موضع قبول لدى الكبار من الجالسين . إذ تحولت الجلسة إلى النظر في مجموعة من المعتقدات الأوروبية التي جعلت من أشياء ومخلوقات وأحداث مبعثاً للتشاؤم وسوء الطالع أو سوء الحظ . وجلسوا يعدون هذه الجوانب حتى أوصلوها إلى اثنتي عشرة حالة إذا حلت بشخص فإن حظه لا بد أن يعتريه سوء ، ومن ذلكم البومة مثلاً والقط الأسود ، وفسروا القول في القط الأسود بأنه إذا مر بك من الجهة اليمنى متجهاً إلى اليسرى فإن هذا علامة سوء ، أما إذا مر من الجهة اليسرى متجهاً إلى اليمنى فأبشر بحظ طيب . من ذلك أيضاً وجود المظلة مفتوحة في المنزل ، والمرور من تحت السلم الموقوف ، والنظر في مرآة مكسورة ، ومرور غراب أسود ، ورؤية العنكبوت في المساء ، ونثر الملح على طاولة الطعام ، ووجود مقص مفتوح أو تركه مفتوحاً ، ووضع الشوكة والسكين على بعضهما بشكل متقاطع ، ويوم الجمعة السابع عشر من الشهر عند الإيطاليين .

ولم يكن بين الجالسين إفريقيون أو آسيويون ليزيدوا في حصيلة ما يدعو إلى سوء الحظ ، وكان بينهم ثلاثة من العرب لم يذكر واحد منهم شيئاً واحداً يضيفه إلى ما أضافوه لأنهم لا يملكون في ثقافتهم ما يدعو إلى التشاؤم وسوء الطالع ، بل إن أحدهم أصر على أن ثقافتهم تنهاهم عن الاعتقاد بمثل هذا ، فما كان من أحد الأوروبيين إلا أن قال مازحاً ، إن ثقافتكم كلها تدعو إلى التفاؤل ما دمت لا تملكون ما يدعو إلى عكس

ذلك حتى في تقاليدكم التي لا تنتمي إلى الثقافة والخلفية التي تعتقدونها. فأجاب الشاب العربي بشيء من الحذر أن ما يقوله حق من جهة أننا ننظر إلى الأحداث كلها بعين متفائلة حتى ما يبدو منها لنا أن فيه شراً فلعل أن يكون فيه خير كثير. ومع هذا فإنه ليس لدينا في ثقافتنا علامات تدل على جلب الحظ خاصة الجوانب المحسوسة مثل تلك التي سردتموها على أنها دليل لسوء الطالع. فالذي أعلمه أنكم تستخدمون «حدوة» الحصان دليلاً لجلب الحظ أو رد المكروه. فأجاب أحد الأوروبيين قائلاً هذا ما تعلمه، ولكن لدينا أكثر من حذاء الحصاء مما يجلب الحظ ويرد المكروه، فنحن نتفاءل بظهور أول نجم في السماء، ونتفاءل حينما يجد الواحد منا قطعه نقود صغيرة جداً، كالسنت والبنس والهللة ونحوها. وقدم الأرنب يحمله بعضنا في جيبه، والنجم الهاوي علامة خير، ومرور راهبة وخباز وأحدب (في آن واحد) مدعاة إلى الفرح، ومرور ثلاث راهبات كذلك، ورؤية نوعية خاصة من «الخنافس» لونها أحمر مرصعة بالسواد، ووجود ثلاثة أزرة خشبية، والمرور بمنظف مداخن البيوت، وأخذ قليل من سواد الفحم المتعلق بشيابه ومسحه على الأنف، ووجود أو الحصول على غصين من شجرة القرنفل مكون من أربع ورقات. وأخرج أحدهم واحدة من محفظته، وأخرج آخر رجل أرنب مصبوغ بالأزرق، وأخرج ثالث محفظته وقد رسمت عليها حذاء حصان. وفي إيطاليا مثلاً يذهبون بك إلى نافورة في روما فتجد النافورة وقد ملئت بالنقود الصغيرة، فتسأل ويجيبونك أنها تجلب الحظ وهي مدعاة إلى أن تعود إلى روما مرة أخرى. والعجيب أن يقاطع أحدهم قائلاً إننا قطعنا شوطاً كبيراً في مجال التحضر، ولكننا من الداخل لا نزال لم نتحضر بالمعنى الحقيقي للحضارة. وكانت كلمة من هذا الشاب يبحث عنها الكثيرون ممن يحاول إبراز الوجه الآخر للحضارة الأوروبية. ذلكم الوجه الذي لا يراه إلا القليلون، ويبقى المسلم بحضارته الصافية هو المتحضر الحقيقي.

والجانب الأول نسميه نحن التطير، وهو ما يدعو إلى التشاؤم، وكانت نماذج منه موجودة قبل الإسلام، ولا تزال نماذج منه موجودة في بعض المواطن التي خيم عليها الجهل حيناً من الدهر ويحاول الناس هناك أن يتخلصوا منها.

الانتحار بالأرقام!

في المستخلصات الإحصائية للولايات المتحدة الأمريكية لعام ١٩٨٤ م، ورد جدول عن الانتحار في العالم ونسبته بين كل مئة ألف مواطن، فاحتلت الدانمرك المرتبة الأولى، حيث ينتحر سنوياً من كل مئة ألف مواطن دانمركي ٢١,٣ شخصاً من النساء، و٣٨,٨ شخصاً من الرجال (٦٠,١) من المجموع. وإذا كان سكان الدانمرك قد وصلوا إلى (٥,١٣٠,٠٠٠) نسمة، فإن هذا يعني أن عدد الذين ينتحرون سنوياً يصل إلى (٣١٣٤,٤٣) شخصاً. وتأتي النمسا في المرتبة الثانية حيث يقضي على حياته فيها حوالي (٤١٨٨,٥٩) من إجمالي عدد السكان. وفي المرتبة الثالثة تأتي ألمانيا الغربية بمجموع قدره (٢٧١٠٤) من مجموع عدد السكان البالغ عددهم (٦١,٦٠٠,٠٠٠) نسمة. ثم تأتي في المرتبة الرابعة سويسرا حيث يصل عدد المنتحرين فيها إلى (٢٦٦٨,٥١) شخصاً.

وفي الخامسة السويد التي احتفلت العام الماضي بموت آخر أمني فيها، حيث أصبحت نسبة الأمية ٠٪، ينتحر فيها سنوياً (٣٢٤٤,٢٦)، وكانت السويد إلى عهد قريب تحتل المرتبة الأولى في نسبة الانتحار فيها. وفي المرتبة السادسة نجد اليابان - الدولة غير الأوروبية الوحيدة التي وصلت إلى مرتبة في العشر الأول في هذا الميزان، ويستعجل الموت فيها سنوياً ما يصل إلى (٤١٨٩٨,٦٣) شخصاً، أما فرنسا فلها المرتبة السابعة، إذ تخسر من مواطنيها عن طريق الانتحار حوالي (١٨٩٤٧,٥٩) شخصاً،

ثم كندا في المرتبة الثامنة إذ تساهم في هذه الظاهرة بما مجموعه (٧٣٧٠) شخصاً لكل عام، وبولونيا الدولة الأوروبية الشرقية في ترتيب العشر الدول الأول جاءت في المرتبة التاسعة بمجموع قدره (٩٣٦٥,٤) شخصاً ينفذون الانتحار فيخونون الأمانة التي أريد لهم أن يحملوها، ويختارون أسوأ طريق ينهون فيه حياتهم.

والواضح هنا أن هذه الأرقام متفاوتة تماماً بحيث لا تدل على الترتيب الذي وضع لها هنا، ولكن الدراسة الإحصائية الدقيقة لا تنظر إلى عدد المنتحرين بالنسبة لعدد السكان الإجمالي وإلا لكانت الولايات المتحدة الأمريكية تحتل المرتبة الأولى، ولتراجعت الدانمارك إلى التاسعة في هذا المجال، ولكن الدراسة تنظر إلى عدد المنتحرين عن كل مئة ألف من السكان (١٠٠,٠٠٠) وعلى هذا يكون الترتيب كما يلي:

الدولة	من كل ١٠٠,٠٠٠ نسمة
١ - الدانمارك.	٦١,١
٢ - النمسا.	٥٥,٥
٣ - ألمانيا.	٥٥
٤ - سويسرا.	٤١,٨
٥ - السويد.	٣٨,٩
٦ - اليابان.	٣٥,٣
٧ - فرنسا.	٣٤,٧
٨ - كندا.	٢٩,٦
٩ - بولندا (بولونيا).	٢٥,٨
١٠ - الولايات المتحدة.	٢٤,١

وهذا الجدول ليس إلا إعادة - بأرقام مختلفة - لما ذكر قصداً إلى توضيح الترتيب فقط، وقد يعتقد أن نسبة الانتحار بين الرجال أكثر منها بكثير بين النساء، ولكن الإحصائية هذه تشير إلى أن الفرق غير كبير جداً، وهي لم تحسب الفرق تماماً؛ لأنها إحصائيات مختصرة جداً، ولكن عند حسابها يجد المرء أن نسبة الرجال لا تزيد على ٥٧,٦١٪ من العدد الكلي، وهذا معناه أن نسبة النساء قد وصلت إلى ٤٢,٣٩٪، والمعروف عن المرأة في طبيعتها أنها أكثر تحملاً من الرجل في كثير جداً من الحالات التي تتطلب التحمل والضغط على الأعصاب، حتى ليقال أنه لو وضع رجل وامرأة في أرض باردة وجُرّدا مما يدفئهما لاستسلم الرجل قبل المرأة بكثير، وهذا تحمّل مادي فكيف بتحمل نواثب الدهر. وهناك أقوال كثيرة في هذا المجال لم تكتسب العلمية البحتة ولذلك نفضل عدم الخوض فيها لثلا نبخس الناس أشياءهم.

كما أن الإحجام عن التوسع في شرح هذه الظاهرة واقتصارها على دول أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية ما عدا اليابان وبولونيا، لعل الإحجام ذلك أفضل من التوسع فيه؛ لأن الأرقام هذه تنبئ عما وراءها وتبرز وجهاً آخر من الوجوه التي نحاول التركيز عليها متوخين في ذلكم الموضوعية ما أمكن.

اللافت للنظر هنا أن الدولة الصهيونية في فلسطين المحتلة جاء ترتيبها الخامسة عشرة من مجموع ست عشرة دولة مرتفعة فيها نسبة الانتحار، وينتحر في هذا الكيان المحتل سنوياً حوالي ١٢ شخصاً من كل مئة شخص، نسبة كبيرة منهم ممن تخطوا الخامسة والستين من أعمارهم - رجالاً كانوا أو نساء - إذ ينتحر حوالي عشرين شخصاً من كل مئة ألف شخص ممن تجاوز سن الخامسة والستين، وكأن هؤلاء قد نسوا أرض الميعاد، أو لم يجدوا فيها السمن واللبن والعسل، وهم جميعاً من اليهود

كما نبهت إلى ذلك الإحصائية المذكورة، ترى لو أجريت إحصائية على
البلاد الإسلامية كيف ستكون الأرقام؟

الجزيرة العدد ٤٨٦٧

السبت ١٥ جمادي الأولى ١٤٠٦ هـ الموافق ٢٥ يناير ١٩٨٦ م

عندما يموت الفنان!

الفنان بشر يستهويه الفن . . ويجد من يشجعه عليه . . بعض الفنانين يتورط في البداية . . فيجد من الصعوبة أن يتخلص . . يبحث عن الشهرة في البداية . . فيتضايق منها ويحس أنها نوع من القيد الذي يتحكم في حياته حتى في منزله وبين خصوصياته . . يحدث خلاف بينه وبين أهله . . قد ينتهي إلى الفراق . . وهو بشر . . فالفراق عنده جرح . . يقول البعض: إنه كلما كثرت جروح الفنان . . كلما استطاع أن يطرب أكثر . . وعليه فلا بد أن تكثر جروح الفنان . . فالناس يهتمهم أن يطربوا . . والشركات يهتمها أن تنتج . . والفائدة لا بد أن تتضاعف وتستمر . . وهذه أنانية بعض الناس . . الذين يعيشون على معاناة الآخرين .

والفنان بشر . . لا نستطيع أن نعمم فنقول إنه مرهف الحس أكثر من الإنسان العادي . . والفنان إنسان عادي . . وفي الناس العاديين من هم أكثر إحساساً من أي فنان . . ولكن هؤلاء الناس العاديين يرفضون أن يعبروا عن رهافة الحس عندهم عن طريق الطرب . . قد يعبر عنه البعض عن طريق الرسم . . ويعبر عنه آخرون عن طريق النحت . . وفئة تعبر عنه عن طريق الشعر . . أو القطع النثرية أو البعض يكتفي في التعبير عنه في المجالس . . وفئة تحبسه وتحفظ به داخل الوجدان .

الفنان.. والحس:

وقد يكون بعض الفنانين عديم الإحساس .. وإنما ساقه إلى الفن آلية وجدها في نفسه من طلاوة في الصوت أو حسن في المظهر .. أو علاقة قوية بمن لهم نفوذ في عالم الفن .

الفنان.. والشهرة:

والفنان بشر يعجبه أن يثير الانتباه .. وأن تسلط عليه الأضواء .. وأن تحتل صورته مكاناً في الصحافة .. وأن يحتل صوته مكاناً في الإذاعة والتلفزيون .. وأن يتسابق عليه المعجبون يدعونه إلى إحياء حفلة هنا .. ومناسبة هناك .. ولا يكاد يجلس في مجلس إلا ويطلب منه أن «يتحف» الحضور بصوته الشجي .. ونغمه المؤثر .. حتى عُذَّ فاكهة هذه المجالس .. وهو يظن أنه إنما دعي إليها ليُطرب من فيها ..

والفنان بشر يعتره الضعف .. يمرض كما يمرض الناس .. ويتعب كما يتعب الناس .. ويسأم كما يسأم بعض الناس .. ويحتاج إلى العزلة أحياناً .. يقف فيها مع نفسه يبدأ معها الحساب .. فيقرر أن يتخذ خطوات إيجابية مع نفسه .. ولكنه قد يعود إلى الجو العام .. فينسى الخطوات الإيجابية .. وينخرط فيما كان قد انخرط فيه .. وتتفاقم المشكلة لديه .. ويجد نفسه وحيداً .. بعيداً عن الأضواء .. بعيداً عن كل شيء .. إلا أنه لا يستطيع البعد عن ضميره الذي يلاحقه وهو يؤدي دوره .. وهو في أي مكان .. فيخلو بنفسه مرة أخرى .. ويتخذ خطوة إيجابية .. صارمة .. نهائية .. جذرية .. يقرر أن يعتزل الفن .. ويتوب إلى الله .. ويتصل بأهل الخير من العلماء وطلبة العلم فيعيدون عليه توطين النفس .. وتحقيقه لشروط التوبة .. ويؤكدون له أن توبته - إن كانت صادقة - فهي حرية بأن تكون سبباً في مغفرة الله له .. ولو ملأ الدنيا بالخطايا .. ولكنه يبقى

محاولاً طمس الماضي .. ولكن الأنانيين يصرون على أن يكون في الصورة .. يطلب منهم عدم عرض إنتاجه قبل توبته، فيستجيب له طيبون .. ويكيد له آخرون .. يكثر من عرض إنتاجه بمناسبة .. وبغير مناسبة .. يأملون أن يعود عن قراره .. ولكنه قد صمم .. عاد إلى رشده .. تاب إلى الله .. فتفقد الساحة الفنية أحد أقطابها .. ويحصل ضرر للمتفعين .. فيهمل الرجل .. وتنطفئ حوله الأضواء .. قد يتهم في عقله ويهمل .. كأنه شيء لم يكن .. كات ستيفن كان من هذا النوع .. واهتدى كات ستيفن .. اهتدى إلى الإسلام .. فكانت نكسة بالنسبة للمعجبين به .. والمتابعين له .. والمستفيدين منه .. فهو لم يترك الفن فحسب .. ولكنه تحول إلى الإسلام .. غير دينه .. وغير اسمه .. صار اسمه يوسف إسلام .. فزال عن دائرة الضوء .. واستمر الناس في السماع واستماع اسطواناته .. وهم يرفضون أن يحققوا له رغبته .. واهتدى غيره كثير من الفنانين العرب .. تركوا الفن .. واتجهوا أكثر إلى الله .. بعضهم لم يكن قد نسي الله من قبل .. ولكنه كان معرضاً عن الله نوعاً ما .. وبعضهم أعرض بالجملة .. وكلهم عادوا .. ولا يزالون يمارسون حياة هائلة .. مطمئنة .. مستقرة .. من بقي منهم على قيد الحياة.

الفنان.. والموت:

والفنان بشر .. تعثره عوامل الضعف .. ويمر به الهرم .. وقد تنتهي حياته قبل مرحلة الهرم .. قد يموت بمرض سببه له الفن - بقدرة الله - وقد يموت ميتة «طبيعية» كما يموت غيره من البشر .. وقد يموت بعد سهرة صاخبة يتناول فيها جرعات من مسكر أو مخدر .. وجون بالوتشي .. وإلفيس برسلي ماتا بسبب جرعات من مخدر .. الأول أعطته

إياه إحدى «صديقاته»، والآخر وجد ميتاً في دورة المياه!!.. نهاية مفزعة.. لا يتمناها أي من البشر.. فتصعق لها الأوساط الفنية.. لقد فقد الفن قطباً من أقطابه.. وأمثالهما كثير، حتى في عالمنا العربي.. فالشيطان يتسلط على البشر.. لا تهمه ألوانهم.. ولا تهمه لغاتهم.. ربما يحاول تكثيف جهوده على أولئك القريبين من الإيمان.. الذين ترجى عودتهم.. يقف في الطريق.. يشنيهم كلما فكروا.. يتمثل لهم بصورة صديق.. أو بصورة الشهرة.. أو بأي صورة يظن الشيطان أنه يمكن أن يصطاد بها فريسته.. وفرائسه من البشر..

والمؤمنون يؤمنون بيوم القيامة.. ويؤمنون بيوم الجزاء والحساب.. ذلكم اليوم فيه حساب ولا عمل.. وهم يؤمنون بعذاب القبر.. قبل يوم الحساب.. ويؤمنون أن الإنسان قد يُعذب في قبره.. وقد يكون القبر روضة من رياض الجنة.. ويؤمنون بأن أعمال البشر في الدنيا - بعد رحمة الله - هي الأساس في عذاب القبر أو نعيمه.. حتى بعض الأعمال اليسيرة قد يتولد عنها عذاب في القبر أو نعيم.. والمؤمنون يؤمنون أن الميت إذا مات ترك ثلاثة أمور: عمل أو ابن أو صدقة، فإن كان العمل طيباً.. والابن صالحاً.. والصدقة جارية نفعت صاحبها في القبر وفيما بعد القبر.. وإن كان العمل غير طيب.. أو الابن غير صالح.. أو خلا المرء من الصدقة الجارية لم يجد معيناً له في القبر.. بل إن عمله غير الطيب الذي تركه وراءه يصبح وبالاً عليه.. فإذا كان هذا العمل من النوع المستمر.. حتى بعد الممات.. فإن هذا سيكون أكثر وبالاً على صاحبه.. والعمل هنا يشمل القول والفعل.. فإذا كان الفنان البشر قد مات وهو مصر على الفن.. وإذا كان فنه يردد بعد مماته.. فإن هذا هو الوبال الكثير.. قد يقابل هذا العمل الصدقة الجارية.. تلكم تنير لصاحبها قبره.. وهذا العمل يزيد في الضيق عليه..

وهنا السؤال الفكرة والاقتراح .. لِمَ لا يقف نشر أعمال الفنان عندما يموت من قبل أولئك المستفيدين من إنتاجه تجارياً؟! .. يقول البعض إنهم لا يستطيعون العيش دون الفن الذين خلفه الفنان .. وهنا الازدواجية والأنانية .. فهم يجنون على أنفسهم .. ويجنون على فنانهم .. إنهم يعذبونه .. كلما وضعوا شريطه أو اسطوانته في الآلة ليستمعوا له ، ولو رأوه يتعذب لما استمعوا له .. ولا لغيره من الفنانين .. الأحياء منهم والأموات .. لو رآه أقرانه الفنانون يتعذب لاعتزلوا الفن جميعاً .. دون تردد . تقتضي حكمة الله ألا نطَّلِعَ على الذين يتعذبون .. أو يتنعمون في قبورهم .. قد تكون هناك رؤى في المنام ولكنها حالات قليلة ..

الفنان.. والإذاعة:

والسؤال الفكرة أو الاقتراح .. لِمَ لا تتفق الإذاعات العربية والتلفزيون العربي على «حجب» أغاني الأموات؟! .. ولِمَ لا تتفق محلات التسجيلات على الاستغناء عن أغاني الأموات؟! إن لم تتفق على الاستغناء عن الأغاني عموماً؟! .. هذه نظرة يسميها البعض بالمثالية .. ونحن لا نقول في الفنان الراحل شيئاً .. سوى أنه أفضى إلى ربه .. وقد ينفعه الدعاء في الدنيا .. فالتناس يشفعون للناس .. ورحمة الله وسعت كل شيء .. المهم أن يترك الفنان الميت وشأنه .. وينسى مريدوه ما قدمه في هذا المحيط .. وما تركه مما قد يجني عليه .. وهذا اقتراح ركّز على جزئية يسيرة من عالم الفن .. لا يوحى بحال الموافقة على الجزئيات الأخرى الباقية .. فالمنطلق هنا ديني .. والإسلام له موقف واضح من الفن/ الغناء .. مهما ظهرت من آراء أو أقوال .. واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ..

لو سرى هذا الاقتراح لارتاح كثيرون .. ولخفّت مكثبات الإذاعة

والتلفزيون في العالم العربي من كثير من مخلفات الماضي .. ولبقي من الماضي ما ينفع صاحبه وينفع الناس .. وما يجب أن يبقى أصوات متجددة النفع .. قرآن كريم .. أحاديث .. محاضرات .. ندوات .. مناقشات .. تحليلات .. أدب .. ثقافة .. هناك الكثير مما يمكن أن يبقى فيفيد .. هناك الكثير مما يمكن أن يُحذف فلا يُضير ..

والفكرة أو الاقتراح غريب .. قد لا يكون واقعياً عند النظرة الأولى له .. وهنا دعوة إلى مزيد من التفكير في الأمر .. قصداً إلى الربط بين الحياتين .. ونحن لا نعيش لهذه الحياة كأننا لا نموت أبداً .. فقد أدعو إلى التفكير في هذه الفكرة الاقتراح .. وأتوقع أن أتلقي لها ردود فعل .. وقد يرى فيها البعض تعاطفاً مع فنانيين قد أفضوا فنالوا ما يستحقون عدلاً .. فلهم من الله ما يستحقون .. وقد يقول آخرون .. جنت على نفسها براقش .. وقد .. وقد ..

ثالثاً: في البلاد الإسلامية..!!

وقفة هادئة في فلسطين..!

يبدأ مشوار إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين حينما انعقد المؤتمر الصهيوني الأول - رسمياً - في بال من عام ١٨٧٩ م، والذي أوصى بمحاولة الوصول إلى الخليفة العثماني وطلب «أرض» منه تكون مقاماً لليهود. فيرفض الخليفة مقابلة «تيودور هرتزل» رغم محاولاته التي استمرت ست سنين، حتى تم له ذلك عام ١٩٠١ م حينما قدم خدمات اليهود في خدمة الدولة تمهيداً للحصول من الخليفة عبد الحميد على تصريح لصالح اليهود. ولم يتمكن من ذلك، بل رده السلطان عبد الحميد رداً مشهوراً رغم ما كان يشاع عنه - إلى الآن - من ضعف وفساد في أرض الخلافة. تلا ذلك إبرام معاهدة «سايكس - بيكو» عام ١٩١٦ م بين كل من بريطانيا وفرنسا اقتسمتا فيه البلاد العربية والإسلامية بينهما، ثم يأتي وعد وزير خارجية بريطانيا «بلفور» عام ١٩١٧ م لليهود بإقامة وطن «قومي» لهم في فلسطين. وتنتهي الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ م ويعلن سقوط الخلافة الإسلامية بسقوط آخر خليفة لها في استانبول في تركيا.

وتتسلم بريطانيا الحماية على فلسطين ولم يكن فيها من اليهود آنذاك أكثر من «٨٥٠٠٠» خمسة وثمانين ألف يهودي في مقابل مليون عربي. وفي سنة ١٩٤٨ م يعلن قيام وطن قومي لليهود ويأخذ اسم «إسرائيل»

اسماً للدولة الجديدة، ويرتفع عدد اليهود إلى «٦٠٠,٠٠٠» ستمائة ألف في مقابل ارتفاع عدد العرب الفلسطينيين إلى مليون ونصف المليون عربي . واليوم ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م يصل عدد اليهود في فلسطين إلى ما يزيد على ثلاثة ملايين يهودي، ويكادون يصلون إلى ثلاثة ونصف مليون يهودي «٣,٤٣٥,٠٠٠» في مقابل ستمئة وخمسين ألف عربي «٦٥٠,٠٠٠» لا يدخل معهم عرب الضفة الغربية من النهر وقطاع غزة. إذ العدد الإجمالي لهؤلاء مضافاً إليهم من يقيمون في البلاد العربية يزيد على الأربعة ملايين عربي .

وعيش العرب تحت الإدارة اليهودية يعني أنهم آخر من ينظر إليهم في مسائل الحقوق المدنية والاجتماعية والسياسية . بل هم محجوبون عن ذلك كله . ويربط اليهود المقيمون في فلسطين العرب عموماً وهؤلاء بخاصة بالقذارة والبذاءة . وينعتون العرب - على المستوى الرسمي - بنعوت فيها كل سوء . ويحلم الكثيرون منهم في اليوم الذي لا يرون فيه عربياً بينهم على أرض فلسطين . ويبدو أن هذا الحلم سيطول إذا ما قورن بالنظرة اليهودية الممتدة المستمرة في أساليب توسيع الرقعة من ناحية، ومن ناحية أخرى أن وجود العرب والمسلمين أمر لا يخضع لمثل هذه الأحلام، إذ إن الواقع العربي الإسلامي أمر يثبت ذاته مهما مر العرب والمسلمون بظروف غير عادية .

والزعم بأن قيام دولة يهودية في فلسطين كان ذا دوافع دينية محضة يتناقض مع الفكرة الصهيونية القائمة على أسس ومبادئ كثيرة، يأتي على رأسها القضاء التام على إنسانية بني آدم وصبهم في قالب «العبودية» للصهيونية، بدلاً من أن يكونوا عباداً لله عبادتهم له سبحانه تختلف في مدلولاتها ونتائجها عن «العبودية» التي يسعى إلى تحقيقها هؤلاء من خلال مركزهم في فلسطين . ففكرة «تيودر هرتزل، وحايم

وايزمان، وفلاديمير جابوتنسكي» قامت على الصهيونية المعادية للدين، فنظرت لليهود على أنهم جنس مشنت في أرض الله، فآثر في أهدافها الأولى أن تجمع اليهود كلهم في وطن قومي تكون أرض فلسطين مركزه والقدس عاصمته، وكان هذا هو الركن الأول للصهيونية «الحديثة»، ثم تتعاقب الأركان بعد ذلك لتشمل إحياء روح التمييز في اليهود بعد أن عاشوا «ثانويين» في الأحياء الفقيرة من بلاد أوروبا وآسيا وإفريقيا، ومن ثم إحياء اللغة العبرية التي وصل بها المقام إلى أن تتقلص في رؤوس أشخاص معدودين من حاخامات اليهود.

هذا هو الطابع العام، ولكنه لا يعني انعدام اليهود المتدينين الذين نراهم عادة يقومون بالطقوس الدينية أمام «حائط المبكى»، ويمثلون الطائفة المتعصبة التي كانت - ولا تزال - موضع كراهية من قبل الصهيونية، ففي كتابات الحاخامات إشارات إلى أن الذي ساهم في مقتل اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية في بولونيا وألمانيا إنما هم «إخوتهم» اليهود الذين تبناوا الصهيونية مبدأً بديلاً لليهودية ديناً. وتشير مثل هذه الكتابات إلى أن الجانب الغني ساعد الجنود الألمان أيام النازية على حصد اليهود، وذلك كان عن طريق إحياء الحفلات الساهرة لهم وإقامة «المواخير» وتوفير سبل تحقيق الرغبات الشخصية للجنود. ولا يعني هذا عدم الوقوف عند العدد المحصود!

اختلاف الجنسيات:

عامل الصهيونية لا يمكن إنكاره في التأثير على أسلوب الحياة بين اليهود، وفي نفي أن يحيا الناس هناك حياة تخيم عليها «الديمقراطية» بكل مفاهيم الديمقراطية الحديثة. وهناك عامل آخر لا بد من اعتباره مؤثراً في إقامة نظام ديمقراطي في فلسطين اليوم، وهو اختلاف جنسيات البشر

الذين يعيشون اليوم هناك. واختلاف الجنسيات يتبعه اختلاف في الخلفيات. فإذا صح ما يقال بأن هذه المجموعة إنما جُمعت لأهداف صهيونية، فإنه من المستبعد جداً أن تتفق الأهواء والرغبات والتطلعات. فالكثيرون ممن يهاجرون إلى فلسطين يحملون بحياة «يهودية» فيصدمون بالحياة التي تزيد وطأتها على حياتهم في مواطنهم الأصلية؛ لأن غالبيتهم يواجهون تمييزاً عنصرياً فريداً من نوعه. إذ يعتقد البيض من الأوروبيين أنهم أصحاب المنزلة الأولى في إقامة دولة إسرائيل، وهم الذين سعوا في ذلك وضغطوا على الخلافة الإسلامية ودشوا لها من يلغيها من يهود الدونمة وعلى رأسهم «مصطفى كمال أتاتورك» الذي بدأ مسيرته في القضاء على الخلافة بشعار إحيائها حتى يطيعه الكثيرون، وقد انخدع به غير قليلين وهللوا له ورحبوا به ومكنوه من أن يساهم في إقامة دولة لليهود في فلسطين، يضاف إلى ذلك أن يهود أوروبا الذين بلغ عددهم مليون وثلاثمائة وخمسين ألف يهودي «١,٣٥٠,٠٠٠» مضافاً إليهم يهود أمريكا بشمالها وجنوبها، قد نقلوا معهم خلفيتهم العنصرية التي مارسوها في أوروبا وأمريكا واستمروا في ممارستها في فلسطين، إذ وجدوا بينهم من اليهود الملونين ما لم يكونوا يحسبون له حساباً، فقد وصل تعداد اليهود القادمين من آسيا وإفريقيا ما يزيد عن المليون وخمسمائة وأحد عشر ألف يهودي «١,٥١١,٠٠٠» وهذا العدد لا يشمل خمسمائة وأربعة وسبعين ألف يهودي «٥٧٤,٠٠٠» من أولئك اليهود الذين ولد آبائهم في فلسطين، ليلغ المجموع الخاضع للتفرقة العنصرية أكثر من مليونين وخمسة وثمانين ألف يهودي «٢,٠٨٥,٠٠٠». ولعل وصول يهود «الفلاشا» هو الذي أبرز القضية هذه بشكل واضح للجميع، وهو الذي وضع وسائل الإعلام أمام الأمر الواقع بعد أن كانوا يمارسون وسائل كثيرة للتعتيم على فكرة التفرقة العنصرية في فلسطين.

ودعوات مزج هذه الأجناس والخلفيات المتناقضة في خلفية واحدة قد بدأت خطواتها الأولى منذ أن أعلن قيام دولة لليهود في فلسطين، ولم تتوقف هذه الدعوات عند الجانب النظري، بل إن مناهج التعليم كانت الأسلوب الأول في محاولة المزج هذه، ثم محاولات متعددة لدمج الجنسيات هذه من خلال التزاوج فيما بينها، إلا أنها محاولات لا تزال تلقى كثيراً من القبول رغماً عن وجود نماذج لها. وينعكس هذا التمايز في الخلفيات والجنسيات على اختيار أسلوب الحياة السياسية.

فاليهود القادمون من شرق أوروبا يميلون إلى إقامة نظام يساري. فالثلثان منهم يعكس ذلك من خلال انتمائهم لحزب العمل. وفي المقابل يجد المرء أن الثلثين من يهود آسيا وإفريقيا يميلون إلى النظام اليميني والمتطرف الذي مثله في الآونة الأخيرة مناحيم بيغن وأرييل شارون، ويتنظر أن يعود به على الساحة إسحاق شامير الذي يشارك في الحكم الآن ممثلاً لحزبه على أن يكون حزبه هو الحاكم المباشر في أكتوبر ١٩٨٦ القادم، إن لم يطح به أرييل شارون الذي حاك في الآونة الأخيرة لعبة جديدة تمثلت في صدامه - الظاهر - مع رئيس الوزراء الحالي في سبيل لفت النظر إليه. ونحن جميعاً نعرف أرييل شارون، ونذكر أن المستقبل في صالحه؛ لأن دولة اليهود تعودت على رفع هذه النوعيات إلى القمة السياسية وتسليط الأضواء عليها. وهو صاحب «الحل النهائي» الذي أعلنه في بيروت وهو يشرف على اجتياح اليهود لها. ويقصد من ذلك القضاء التام على كل ما يمت لفلسطين بصلة بادئاً بعرب فلسطين المسلمين.

الهجرة المضادة:

وإذا كان اليهود يشجعون الهجرة إلى فلسطين بحيث يحققون الهدف الأول للصهيونية من حيث جمع اليهود في وطن قومي لهم، إلا

أن الظروف العملية لا تساعدهم كثيراً في ذلك، فالتضخم عندهم وصل ١٠٠٪ «ألف بالمئة» في سبتمبر من عام ١٩٨٤ م. ويعتبر كل يهودي في فلسطين مديناً مادياً بما يعادل «٢٢٦٣٠» ريالاً أو «٦٢٠٠» دولار. أما معدل النمو السنوي فقد نزل من ٩ - ١٠٪ في الأعوام ١٩٤٨ - ١٩٧٣ م إلى ١,٨ - ١,١٪ في الأعوام الثلاثة الأخيرة. والبطالة تطرق أبواب العشرة بالمئة ١٠٪ من مجموع العاملين.

هذه التطورات بالإضافة إلى الجوانب الاجتماعية والأمنية جعلت فكرة الهجرة المضادة لا تقف عند قرارات فردية، بل إن الأمر أصبح يزعج المهتمين بهجرة اليهود إلى فلسطين، فالمتوقع أن يغادر فلسطين أكثر من ٣٠,٠٠٠ ثلاثين ألف يهودي عائدين إلى بلادهم أو إلى بلاد غرب أوروبا وأمريكا، وهذا بدوره يعادل حوالى ١٪ من مجموع السكان، والمستقبل لا يوحي لهم بخير.

ولعل مما يرغب في الهجرة المضادة شعور الكثيرين بأنهم مهما كانوا في اليهودية متعمقين إلا أنهم لا ينتمون حقاً إلى هذه الأرض. هناك - فيما يبدو - شعور غير معلن بأن شيئاً ما غير إيجابي ينتظرهم في فلسطين، ولعل هذا الشعور هو ما حدا بمجموعة منهم غير قليلة بالاحتفاظ بجنسياتهم وجوازات سفرهم الأولى مع حصولهم على جنسيات إسرائيلية. ويبلغ عدد اليهود الذين لا يزالون يحتفظون بجوازات سفرهم الأمريكية فقط ستين ألف شخص «٦٠,٠٠٠» يصرون على الاحتفاظ بها، وينتقلون بها في أسفارهم خارج فلسطين مخفين الجنسية اليهودية لدوافع ذاتية وأمنية وعرقية، ولم يتخل عن هذه الجنسية الأمريكية منهم خلال العشر سنوات الماضية إلا حوالى مائة شخص «١٠٠» فقط، معظمهم ينتمون إلى الأمريكيين السود الذين اعتنقوا اليهودية أو العبرانية ودخلوا فلسطين «بسمات سياحية ثم تخلوا عن الجنسية الأمريكية تجنباً

لإبعادهم» كما يذكر تقرير لمجلة النيوزويك الأمريكية. ولا تنزع الجنسية الأمريكية إلا من أشخاص تشعر الحكومة أنهم وصلوا إلى منزلة قد تضر بأمن أمريكا القومي، فلذلك نزع من موسى آرينز عام ١٩٨٢ م فقط عندما عين سفيراً لإسرائيل في واشنطن، ونزعت عن «مائير كاهانا» أحد متطرفي البرلمان اليهودي الذي سيقم دعوى ضد الحكومة الأمريكية وسيسعى إلى استرداد جنسيته ولو أدى ذلك إلى استخدامه أسلوبه المعتاد الذي يستخدمه مع العرب.

وفي الوقت الذي تبدأ فيه الهجرة المضادة ظاهرة بارزة، يخف معدل الهجرة إلى فلسطين، بحيث يكاد يصل إلى التوقف، وقد تمر عليه فترة نشاط بعد محادثات بيجن - غورباتشوف الأخيرة في جنيف، إلا أنها ستكون وسيلة ليهود الاتحاد السوفييتي لأن يتركوا روسيا إلى دول أوروبا الغربية وأمريكا.

ولهذه العوامل ولعوامل أخرى غير قليلة يتبين أن قيام حكومة يهودية في فلسطين إنما هو أمر عارض في حياة الأمة العربية والإسلامية، إذ إن هذه العوامل تعين كثيراً على الوصول إلى مثل هذه النتيجة.

المفقود!

هذه عائلة كبيرة جداً عدد أفرادها يفوق التصور. متماسكة، متكاتفه. تتعرض للنكبات والأهوال والمصائب ولكنها صابرة. صبرها لا يعني أنها لا تحزن. ولكن صبرها يعني لها أنها قادرة على التغلب على نوائب الدهر. تمر عليها المصيبة تلو المصيبة فتسترجع وتشير في طريقها. تفقد عزيزاً عليها فتنتعیه لمن حولها وتستمر في الطريق. هي عائلة العالم الإسلامي من المحيط إلى المحيط. تتعرض لنكبات الزمان، وتصبر. بالأمس القريب تعرضت هذه العائلة في الأسبوع الماضي لفيضانات في السودان أعقبها تهديد بالجراد لم يمر على السودان منذ أكثر من ألف عام. وقبل فيضانات السودان تتعرض بنغلاديش للفيضانات والحوادث، وكذا في تركيا وجنوب شرق الاتحاد السوفييتي حيث الجمهوريات الإسلامية.

وفي الأسبوع الماضي فجع العالم الإسلامي بوفاة أحد القادة الذين شهد لهم بالخير أفعالهم، حيث سقطت الطائرة التي تقل الرئيس ضياء الحق الذي عرف عنه مؤازرة العمل الإسلامي في بلاده وفي بلاد المسلمين عامة. وله مواقف التي لا تنسى من قضية المجاهدين والمهاجرين الأفغان، حيث تحمّل تبعات وجود الملايين منهم على أرض

الباكستان، وكانت الباكستان - ولا تزال - هي منطلق الجهاد في أفغانستان . وهذا الموقف منه يذكر له ولعله أن يكون في ميزان أعماله، فقد أفضى إلى ما أفضى إليه .

وأقول هنا: إن ضياع الحق كرجل دولة لا بد أن يكون له معارضوه داخل الباكستان وخارجها، ونحن مطالبون بحسن الظن بالآخرين كمسلمين . حسن الظن هذا مطبق على الجميع بغض النظر عن مواقعهم في المجتمع . من السهل أن يطلق المرء على الآخرين حكماً سريعاً غير موثق . وحسن الظن هنا لا يعني بحال من الأحوال السذاجة . فلعلنا ندرك الفرق بين هذا الموقف وذاكم الموقف . ومع الأموات نحن مطالبون بأن نذكر محاسنهم، خاصة منهم من لم يثبت لنا عنه أنه خرج عن الخط السوي .

على أي حال، فقدان ضياع الحق لا يؤثر على الباكستان فحسب، ولكنه سينعكس على العمل الإسلامي في شبه الجزيرة الهندية وأفغانستان وغيرها من المواطن المجاورة . ولعلنا لا نبالغ كثيراً في هذا إلا إلى درجة أن نقر للمحسن بإحسانه فنقول له أحسنت، وذلكم لأننا نعلم أن الله تعالى يقيض لهذه المنطقة من يحمل لواء الحق فيها ويكمل مسيرة بدأها من قبله . وما موت ضياع الحق إلا حلقة في سلسلة من الحلقات التي تكون في مجموعها نوعاً من الابتلاء والامتحان لهذه الأمة وخيرها من صبر وآمن واحتسب .

ويمر حادث موت ضياع الحق وتبقى آثاره الغريبة، فالتحقق في أسباب موته والدوافع لهذا الأسلوب في الميتة فترى الناس في مجملهم يشيرون بأصابع الاتهام إلى الحكومة الأفغانية القائمة المدعومة مباشرة من الاتحاد السوفيتي .

وكل يحاول أن يبدي مجموعة من الأسباب التي تعين على الإقناع

بأن الروس في النهاية هم المدبرون لموت ضياء الحق، ولعل الأنسب من هذا كله أن ينتظر الناس إلى أن تنتهي التحقيقات الموضوعية ليؤيد الحكم فيها ما ذهبوا إليه أو لينقضه. وهذا هو الأسلوب الأمثل الذي انتهجه غلام إسحاق خان الرئيس بالنيابة.

ويمر حادث موت ضياء الحق معبراً عن جزء مما تتلقاه هذه الأمة الكبيرة الصابرة من المحن، فتطوي صفحة وتفتح صفحة أخرى بعد أن سجلت في الصفحة المطوية ما تعرضت له وما أنجزته فتركها للتاريخ يسجلها بأسلوبه الخاص ويخرج منها بحكم تاريخي على حقبة من الزمن هي من أصعب الحقب التي مر بها العالم الإسلامي منذ بعثة قائدها وإمامها محمد ﷺ.

وتفتح الأمة الكبيرة صفحة جديدة وكلها أمل في أن تملأها بما هو أفضل مما ملأت به الصفحة المطوية. فالأمل عند هذه الأمة لا حدود له، وهي عائلة لا تعرف اليأس ولا يطرق القنوط لها باباً..

فقد صبرت على أعظم من هذا بكثير صبرت على غزو الصليبيين، وصبرت على غزو التتار، وصبرت على غزو اليهود، وصبرت على مهاترات الضالين، واجتازت هذه المراحل كلها وهي تثبت للجميع أنها أمة قوية لا تهزها هذه اللفحات المؤقتة.

ولعل القلم يتوقف هنا مكتفياً بهذا الشعور مذكراً بأن فقدان هذا الرجل ترك ثغرة غير هينة في هذه الأمة التي لا تزال تنجب الرجال الذين يملكون عظمة الرجال ويستطيعون سد هذه الثغرة والثغرات الأخرى. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٥٨١٢

١٥ المحرم ١٤٠٩هـ - ٢٧ أغسطس ١٩٨٨ م

السودان.. سلة خبز العرب

أولاً وقبل أن نناقش أو نتحدث عن أية قضية تتعلق بالأمة العربية اليوم طبيعية كانت أو سياسية، أو اقتصادية، لا بد من أن نؤكد على أننا نؤمن بالقدر خيره وشره، وأنها قد نكره أشياء كثيرة ويكون لنا فيها خير كثير، وأن مقياس البشر يظل في حدود البشر، ولا يعلو على حكمة الله وقدرته وتصريفه، وأنه تعالى لا يظلم أحداً مثقال ذرة، فكل الناس من خلقه ولا ينالون أكثر مما يستحقون في الدنيا أو في الآخرة. إذا آمنا بهذا وجدنا أنه من اليسير الحديث عن الأحداث التي تمر بنا هذه الأيام وقبل هذه الأيام، وربما بعد هذه الأيام.

الخرطوم عاصمة السودان تعزل تماماً بسبب المطر الذي أدى إلى الفيضانات فتدمر عشرة آلاف منزل، على الأقل، ويخرج أكثر من مليوني نسمة دون مأوى، دون كهرباء، دون عيش، لاحظوا أنهم فقدوا كل شيء جرفه تيار الماء معه، وذابت، معه ذكرياتهم ومحتوياتهم، فلا يابھون الآن بالمحتويات والذكريات، ولكنهم يبحثون عن لقمة العيش تسد الرمق. هذا إذا أدركنا أن هناك أكثر من مليون من اللاجئين من الجنوب في الخرطوم وحدها. وأن محافظة الخرطوم كانت مشغولة في إيواء هؤلاء والبحث عن حل لهم يعيد إليهم الشعور بالحياة، لقد أتاحت لي الفرصة

لأقف على بعض معسكرات اللاجئين فوجدت أنه من المحتم على كل شخص أن يحاول الوقوف على ما وقفت عليه .

فتجد محافظة الخرطوم نفسها في حال لا تحسد عليها، إذ تخطت الحال المحلية واحتاج الأمر إلى الرعاية العربية أولاً، ثم الإسلامية والدولية، فعلى المسلمين - والعرب منهم - تقع مسؤولية النظر في هذا الموضوع؛ لأن منظمات الإغاثة الأخرى تقف متأهبة للنجدة وتقديم العون . وهذا جميل بحد ذاته إذا كان لذاته، أما إذا كان مصحوباً بالمنة والأفكار الدخيلة فذلكم أمر لا نرفضه حقاً إلا إذا كنا - عملياً - نملك البديل له .

يقول أحد العلماء المدركين إن الزكاة التي يجب أن تدفع على أموال التجار المسلمين كفيلة بأن تقضي على مشكلة الجوع، ليس في مكان واحد كالسودان، ولكن في الكرة الأرضية كلها، وليس في الأمر مبالغة إذا قلنا إنه إذا دفعت الزكاة لم يبق مسلم واحد يعاني من الجوع والفقر والمرض، ومثل هذا الاندفاع في الحديث قد يشعر البعض أن المسلمين لا يدفعون زكاة أموالهم . وليس هذا الادعاء حاصلاً، فالمسلمون - بفضل من الله - حريصون على تطهير أموالهم، وهذا أيضاً ليس تعميماً، فهناك من لا يبالي في أن يدفع مالاً يحس أنه تعب عليه . هذا عن الزكاة . وأبواب الخير ليست مقصورة على الزكاة وحدها فباب الصدقات قد يكون أوسع من باب الزكاة، فلا يرتبط هذا الباب بالنصاب والحوال والنسبة التي تدفع على المال في الزكاة .

ولم الربط بالزكاة والصدقة؟ لأن الإنفاق في هذه الحال سيزيد من مال المرء ولا ينقصه، ما دام هذا الإنفاق خالصاً لوجه الله، في مقاييسنا المجردة من العقيدة قد ندرك أن الإنفاق من مال ينقصه، ولكن الإنفاق من أجل الصدقة سيزيده وهذه قاعدة لا بد أن نؤمن بها؛ لأننا لا نسير بموازين البشر، ولكننا نسير على حكم الله تعالى .

بالأمس كانت السودان - وغيرها من دول شرق ووسط إفريقيا - تعاني من الجفاف، فتهرع مؤسسات الإغاثة والحكومات تمد يد العون لأولئك الذين هربوا من الجفاف سيراً على الأقدام، فسقط منهم من سقط ونجا منهم من نجا، واليوم تعاني السودان من الفيضانات فيهرب منها كثير من الناس سيراً على الأقدام فيسقط منهم من يسقط وينجو منهم من ينجو، ويتمنى بعضهم من هول المصائب أن لم يعيش ليرى ما يراه. لا بد من حكمة؛ لأن الكون يسير بحكمة وإن حاول البعض تفسير هذا الوضع تفسيراً طبيعياً، إلا أن هناك تفسيراً آخر لا بد من الوقوف عنده قصداً إلى مواجهة المعضلات والبحث عن الحل المناسب لها.

وإلى أن يدرس هذا الوضع ويبحث له عن الحل، يأتي الحل العاجل الذي يسعى إلى الوقوف إلى جانب هؤلاء الإخوة الذين بدأوا - في مجملهم - يفقدون طعم الحياة، وصارت تساورهم الشكوك فيوقف إلى جوارهم ويشد من عزائمهم ويمنحون الثقة من جديد، ليس من باب العطف وبسط اليد العليا ولكن من باب الواجب الأخوي الذي يحتمه الانتماء إلى عقيدة واحدة مشتركة، والواجب هنا مصطلح شرعي له دلالاته التي تجعل الناس ينقادون إلى مؤازرة إخوانهم بعيداً عن أي شعور بالمنة لئلا تذهب مع المنة نتائج هذه المؤازرة، ويكون طعمها غير مستساغ، ومثل هذا الأمر لا يستحق التأجيل.

ونحن نعلم أن هذه البلاد تسارع إلى أشقائها العرب والمسلمين وتمد لهم يدها البيضاء بعيداً عن الأضواء، إذ إن مندوبيات الإغاثة السعودية موزعة هنا وهناك تقوم بدورها بصمت وطمأنينة، ولم تتوقف الطائرات السعودية عن حمل المتاع والغطاء للمناطق المنكوبة نكبات آنية كالزلازل والفيضانات أو ممتدة كالجفاف وآثار الحروب. وهذا فضل من الله على هذه البلاد وعلى أهل هذه البلاد. وهو فضل كفيل - بإذن الله -

بزيادة النعمة والخير؛ لأن من شكر نعمة الله زاده الله نعمة عليها. وخطباء الجمعة في هذه البلاد الطيبة لا يترددون عن السير مع الأحداث ينبهون العامة ويذكرون بواجبهم تجاه ما يحصل في العالم ويربطونهم بالأحداث ويبينون لهم موقف الإسلام منها. وهم - أعانهم الله - ذوو تأثير على الناس بسبب من الثقة التي مُنحوها، وعليهم التأكيد على أثر التكافل والتعاون بين المسلمين في التغلب على ما يعترض الطريق من نوائب الدهر ومحن الزمان بغض النظر عن المكان. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة العدد ٥٨٠٥

السبت ٨ المحرم ١٤٠٩ هـ - ٢٠ أغسطس ١٩٨٨ م

الحمية.. لو يشبعون

في الطريق من البيت إلى العمل ومن العمل إلى البيت يطيب للمرء أن يستمع إلى أحد برامج البث المباشر والتي تعرض لقضايا وجوانب متعددة، ومنها ساعة يقضيها المستمعون مع طبيب متخصص في التغذية والرشاقة. وتنهل على الطبيب مجموعة من الأسئلة حول «الحمية» ويسميها البعض بالعامية «الريجيم». وتظهر البرامج والمؤسسات والأغذية وأدوات التمرين وتظهر صناعة كاملة هي صناعة الحمية بما فيها المقالات والكتب والمنشورات والنوادي وشيء كثير. وتؤلف واحدة كتاباً عن الاستراتيجية التي تبعثها واستطاعت معها أن تفقد حوالى سبعين كيلاً من الجرامات، وتحدث عن تجربتها التي مرت بها والخوف الذي يراودها مخافة أن تعود إلى عهدها السابق فتخوص في السمنة وما يتبعها أو يقترن بها - هناك في تلك البلاد (الولايات المتحدة) - من رفض المجتمع والشعور بالوحدة والرغبة في الانطواء. كل ذلكم بسبب كثرة الخير والانخراط التام في الشهوة حتى لا يكاد مجال من مجالات الشهوة لم يشع بالطرق المشروعة وغالباً بالطرق غير المشروعة.

في المجتمع الذي أعيش فيه هذه الأيام - مجتمع الولايات المتحدة - يخشى الإنسان السمنة، ويخشون كذلك ارتفاع الضغط وأمراض

السكري بأنواعها والسكتات القلبية والأرق والقلق، ولذلك ترونهم يسعون جاهدين في إيجاد الوسائل التي تعينهم على التخلص من هذه الأوبئة. تراهم يبحثون عن العلاج بعد أن تركوا جانباً البحث عن الوقاية. العمل لديهم يأخذ ساعات طوالاً تأكل على المرء يومه كله، فلا يبقى له مجال إلا أن يعود للبيت ويأكل لقمة عيش فيقرأ أو يشاهد التلفزيون ثم ينصرف إلى نومه. هذا إذا كان من سعداء القوم. وغيره من غير السعداء تراه يلجأ إلى المهدئات التي تنسيه هموم يومه وتبيئه لغده، فلا بيت يجد فيه الدفء ولا عشير يعينه على همومه، ولا رفيق يبت إليه أحزانه فيزيد أرقه ويزداد قلقه ويرتفع ضغطه فيلجأ إلى الرياضة والجري يخفف عنه أشياء مما يحمل وهو يحمل أثقالاً كثيرة. توجه إلى الدنيا فأعرضت عنه ولحق بها فأبعدت عنه، وتعلق بها فتخلت عنه، فأراد أن يستمتع بيومه قبل ليله، وحاضره قبل مستقبله، فازداد وزنه وأثقلته شحومه فطفق يبحث عن العلاج، فجاءت صناعة الحمية. والمجتمع الذي أعيش فيه هذه الأيام يوجد المشكلات ليصنع لها الحلول إنه يعيش من مشكلات الآخرين فتراهم يبيعون السلاح في الشوارع، والمخدرات أصبح بيعها في الأماكن العامة، واللذة الآثمة أصبحت من الابتذال بحيث فقدت رومانيتها وسموها. فلم يقتصر الأمر على الأكل فقط، ولكنه شمل متع الحياة كلها فلم تصبح متعاً وإنما هي داء يدفعه التحدي ومحاولة الظهور وكيد الآخرين والبروز في المجتمع بل والشهرة.

وأنا أستمع إلى الحديث عن أساليب الحمية والاحتيالات عليها في المجتمع الذي أكتب لكم منه تذكرت حديثاً للمنفلوطي - مصطفى لطفي في النظرات - ولعلها العبرات حينما قارن بين أولئك المتخمين وأولئك الذين لا يجدون لقمة العيش. وبين أمراض التخمة وأمراض الجوع. إن تمثيله لا يزال قائماً وهو قد ودعنا منذ أمد حتى ليكاد البعض يجهل تلکم

النظرات والعبرات . فالتخمة لا تزال تضرب أطنابها والجوع لا يزال يحصد الرطب واليابس ، وسبحان مقسم الأرزاق ، فلو كان للعالم وزن عند خالقها ما جعل أولئك يتخمون وهؤلاء يأكلون من خشاش الأرض .

تلكم مشكلة المتخمين ، فما لنا ولها . والحق أنها مشكلة يخشى أن تطرق علينا الباب حينما نكون من الأنانية بحيث لا ندرك حاجة الآخرين ونصيبهم مما لدينا حقاً لهم علينا فرضه خالقنا جميعاً ، وحينما نعيش لنأكل بدلاً من أن نأكل لنعيش ، وحينما نصبح قوماً نشبع ونأكل ولو لم يساورنا الجوع خلاف ما نشأنا عليه . هذا لم يقع بعد ولكنه التوجس من أن يقع فتكثر بيننا صناعة الحمية . ولا بد أن ندرك أن هناك خللاً في المجتمعات الأخرى فلا نقاد إلى هذا الخلل بحجة أننا نريد أن نكتسب من الآخرين ما لديهم من أصناف ما وصلوا إليه في الاحتيال على الحياة .

بل لا بد أن نعطي في حياتنا كل ذي حق حقه من الجسم إلى المجتمع كله فلا نعمل أكثر من الحد الذي يقوم به المجتمع ، وقد يرى البعض أن هذه دعوة إلى الحد من الأداء والإنجاز والبناء ، ولكنه الوقت الذي أتحدث عنه بحيث يكون هناك فرصة عند المرء يلتقي فيه بأهله وأولاده ووالديه وأقاربه وأصدقائه . ويكون هناك فرصة عند المرء لأن يبني مجتمعه بالأداء والإنجاز والبناء الذي لم ولن يتحقق في المكاتب وأوقات العمل . فمسؤولية المرء في الدنيا هذه لا تقتصر على عمله الرسمي الذي يؤديه فقط وعلى حساب المسؤوليات الأخرى . وصاحبكم يعمل من التاسعة إلى الخامسة وقبلها ساعة وبعدها ساعة للمواصلات ويشعر أنه أهدر طاقته في العمل فلم يعد إلى البيت ولديه «المزاج» للقيام بالمسؤوليات الأخرى . ومن هنا تبدأ الأعراض التي أدت إلى عالم الحمية من الأرق والقلق وارتفاع الضغط والأمراض النفسية والاجتماعية ، إذ إنه يشعر أنه في طاحونة تمتص قواه وتتركه خائراً تعطيه شيئاً من الوقت يسترد

فيه قواه لليوم التالي . وليست دعوة للتواكل حينما يقال أنه لن يلحق للدنيا طرف ، وما لم يتم إنجازه اليوم يتم غداً - بإذن الله - ما دامت النية حسنة والاندفاع موجود والشعور بالمسؤولية متوافر .

تلكم انطباعات ليوم واحد من أيام العمل في مجتمعات اتجهت إلى الدنيا ونسيت نصيبها من الآخرة فحاولت أن تصب كل قواها في تحقيق الأمان بكل معانيه في هذه الدنيا فلم تفلح ولا أخالها تفلح وهي تتنافس على زائل . والحياة مدرسة يفترض فيها أن نكون أساتذتها وتلاميذها والله المستعان .

الجوع .. لا حل بكم مكروه

العالم اليوم يعيش أمرين متناقضين تماماً . . يقول مصطفى لطفي المنفلوطي في إحدى نظراته: إنه مر على شخص يتضور جوعاً وقد عصب بطنه رجاء تخفيف آلام الجوع، ثم مر بآخر وقد هرع مسرعاً إلى الطبيب ليعالج مغصاً في أمعائه وتقلبات في نظام الهضم عنده؛ لأنه يأكل كثيراً فيصاب بالتخمة، تعجب المنفلوطي من هذه الظاهرة في زمنه الذي عاش فيه، وأعجب لو كان المنفلوطي عائشاً اليوم، ماذا كان له أن يقول في عبارات تلي النظرات.

في بعض المجتمعات هناك تحذير متكرر من قِبل علماء التغذية والمتخصصين في شؤون الحمية من كثرة الأكل والإفراط فيه والتنويع في أصنافه . والتحذير هذا يشمل لفت الانتباه إلى أضرار الإكثار من الكوليسترول والسعرات الحرارية وما يسمونه بالدهون المتشبعة . وفي هذه المجتمعات وجدت أصنافاً وأصنافاً من وصفات الأغذية التي تتبع أساليب الحمية «الريجيم» ويستفيد منها الكثيرون الذين أنشأوا المؤسسات التجارية الراحبة التي تُعنى بالوصفات المناسبة للحفاظ على الجسم سليماً معافى من أمراض «كثرة الأكل». ولا يقف الأمر عند هذا، بل ظهرت أصناف

الحبوب «الدوائية» التي تضيق الخناق على الشهية مما يحدو بالمرء إلى التقليل من الأكل سعياً وراء الاحتفاظ بوزن محدد للجسم رسمه المتخصصون، أي أن الطعام اليوم أصبح في هذه النوعية من المجتمعات عاملاً من العوامل التي تنغص على القوم حياتهم فيحاولون البحث عن الحلول السريعة للتغلب على هذه المشكلة التي ربما أسميناها «بمشكلة الطعام المناسب» بينما يسميها البعض بمشكلة الغذاء المناسب!

وفي أحد هذه المجتمعات وجدنا أن الناس بدأوا يلجأون إلى أطباق غريبة عليهم طمعاً في الوصول إلى حل لهذه المشكلة، فهناك دعاية للأكل الشرقي عموماً من صيني وهندي وعربي على اعتبار أن هذه الأطباق بسيطة في إعدادها غنية في غذائها، وهذه محاولة من محاولات للتغلب على مشكلة الطعام المناسب. ومحاولة أخرى جاءت في التركيز على التمرينات الرياضية المتتابة التي يراد منها تخفيف الوزن والمحافظة على وزن محدود دون اللجوء إلى النقص لما في ذلك من ضرر، فظهرت في إثر هذا النوادي الرياضية التجارية التي تتيح جميع أنواع الأجهزة التي يمكن أن تؤدي هذا الغرض بموجب اشتراك سنوي أو فصلي والمحاولات كثيرة على كل حال.

إذاً فهذه النوعية من المجتمعات تعيش حالة تخمة غذائية حقة، وهي في سبيل التخلص من هذه التخمة، ولكنها لم تصل إلى الأسلوب المناسب الفعال، إذ إن المحاولات المتعددة هذه لها سلبيتها التي ربما وصلت إلى الخطورة الصحية عند من يتناولون حبوب الحمية أو يضغطون على التزامهم بحمية محددة قائمة على «التنقيص» من مواد لا بد للجسم منها. يمثل هذه المجتمعات عموماً المجتمعات الغربية في أوروبا غرباً وشرقاً وفي أمريكا.

والجوع في الجانب الآخر:

في الوقت ذاته هناك مجتمعات كثيرة تهددها المجاعة تهديداً يحتاج معه إلى الصور الحية الناطقة التي تغني عن الحديث والتبحر في اختيار الكلمات، إذ يكفي أن يعرض عليك فيلم لمدة لا تزيد عن خمس دقائق فقط لترى بنفسك ما وصل إليه العالم من تناقض، وسنضطر لذكر بعض المجتمعات بالتحديد؛ لأننا هنا نورد إحصائيات حديثة جداً تتطلب ذكرها ذكر مواقعها. وإيراد هذه الأرقام المهولة لا يراد منه أكثر من أن نلمس الصورة التي تعيشها هذه المجتمعات وما وصلت إليه من الفاقة. والذي أحب أن أؤكد عليه أن هذه الظاهرة ليست ظاهرة مؤقتة تمثل الصدارة في نشرها وإعلانها فترة من الزمن ثم يأتي خبر آخر يضعها في طي الكتمان، بل إنها مشكلة مستمرة متفاقمة وتزداد يوماً بعد يوم داعية أهل الخير على جميع المستويات أن يساهموا في الوصول إلى حل جذري لها.

لظروف مناخية وظروف أخرى كثيرة - منها الظروف السياسية - يعيش كثير من أهل إفريقيا الخضراء في أراض جدداء لا تنبت كلاً ولا يصلها الماء. فلو أخذنا - على سبيل المثال - الحبشة - وتسمى عند البعض أثيوبيا - العامرة باثنين وثلاثين مليون نسمة (٣٢,٠٠٠,٠٠٠) ربعهم أي (٨,٠٠٠,٠٠٠) يعيشون تحت الفاقة، ولو نظرنا إلى الزاوية الشمالية والشرقية منها فقط - والزاوية الشمالية لها مدلول خاص لدينا نحن المسلمين، إذ إنها تكتنف الأريتريين الذين يسعون إلى التخلص من أنظمة لا تناسبهم - لو نظرنا إلى هذه الزاوية لوجدنا فيها حوالي (١٠٠) مئة مخيم للاجئين الذين هربوا من الجذب سعيًا وراء الطعام؛ الذين يصلون إلى هذه المخيمات لا يزيدون على عشرين بالمئة من مجموع اللاجئين (٢٠٪) أما الثمانون بالمئة (٨٠٪) المتبقية فهم يموتون في الطريق نظراً لعدم مقدرتهم الجسمية على السير إلى المخيمات. وفي هذه المنطقة

هناك حوالى ستة ملايين نسمة (٦,٠٠٠,٠٠٠) يعيشون على حافة الهلاك، وقد يصل عدد الذين يلاقون حتفهم من الجوع فقط حوالى المليون نسمة (١,٠٠٠,٠٠٠) في نهاية العام الميلادي الحالي - أي بعد عشرة أيام من اليوم. ويصل تعداد من تركوا منازلهم بحثاً عن الطعام وفي منطقة واحدة هي شمال الحبشة ما يقارب المليونين وربع المليون نسمة (٢,٢٥٠,٠٠٠) وتركهم منازلهم يعقبه أمور كثيرة أقلها تركهم لأرضهم وأملاكهم التي أضحت لا تساوي شيئاً، ثم موتهم في الطريق كما أسلفنا.

ولو أخذنا القارة الإفريقية مجتمعة لوجدنا أن هناك ما يصل إلى مئة وخمسين مليون نسمة (١٥٠,٠٠٠,٠٠٠) مهددين بالفاقة والموت جوعاً. ويذكر أن ستين بالمائة من سكان إفريقيا ينامون ليلهم جوعاً، وهناك حوالى مليون طفل (١,٠٠٠,٠٠٠) يموتون سنوياً من أمراض الملاريا فقط، وهناك الذين يولدون فلا يجدون قطرة من حليب تسد رمقهم فيموت منهم ما يقارب الخمسين بالمائة ٥٠٪ حال ولادتهم. على أن هناك ما يصل إلى المئتي مليون طفل دون الخامسة عشرة من أعمارهم في إفريقيا (٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠) مئة وسبعون مليون طفل من هؤلاء (١٧٠,٠٠٠,٠٠٠) يعيشون دون المستوى الغذائي العادي جداً، ولديهم نقص في التغذية وليس هناك مبالغة إذا قيل إن سبعين بالمئة (٧٠٪) من سكان إفريقيا في المناطق الشرقية والجنوبية والغربية يعيشون في مستوى يقل عن المستوى المعيشي المعتاد لكل فرد. أما محاولات إنقاذ الأطفال منهم تبدأ بالأطفال الذين وصلوا إلى نسبة سبعين بالمئة (٧٠٪) دون المستوى المتوقع من الوزن.

أما في الشمال الوسط، وفي تشاد بالذات التي عاشت - ولا تزال - ويلات الحروب الأهلية، فإن مائتي طفل (٢٠٠) يموتون كل خمسة عشر يوماً، وفي غضون الأشهر القليلة الماضية لاقى أربعة آلاف شخص

(٤٠٠٠) حتفهم من النساء والأطفال. وقد ترك مجموعة من التشاديين منازلهم بحثاً عن الطعام، ويقدر عددهم حتى إعداد التقارير بحوالي مائتي ألف نسمة (٢٠٠,٠٠٤) ويذكر أنه في نهاية العام الحالي الميلادي، أي بعد عشرة أيام من الآن، قد يصل عدد من تركوا منازلهم سعيّاً وراء لقمة يعيشون بها ويسدون بها الرمق إلى ستمائة ألف نسمة (٦٠٠,٠٠٠) ومن هؤلاء ما وصل إلى مئة ألف شخص (١٠٠,٠٠٠) تركوا ديارهم وليس منازلهم فقط. بحثاً عن سبل العيش. ويصل مجموعات منهم إلى المناطق المجاورة، فالسودان مثلاً التي تعد عند الكثيرين «سلة خبز العرب» تحتضن اليوم ما يزيد على المليونين ونصف المليون (٢,٥٠٠,٠٠٠) من اللاجئين إليها من مناطق مجاورة مثل تشاد وكينيا وأريتريا.

وكينيا مشهورة بهذه الظاهرة الخطيرة خصوصاً المناطق الشرقية منها، ولعل آخر ما يمكن أن يقال عنها أن مرض «الكوليرا» مستفحل في بعض مناطقها وقد عزلت هذه المناطق عن الحركة، إذ لا خروج ولا دخول إلا للناقلات الرسمية التي تحمل أدوات المساعدة والإغاثة ومنها سيارات الإسعاف.

● ● هذه مقتطفات من مشكلة كبرى تهدد بعض الدول الإفريقية. . ولا يقتصر الأمر على إفريقيا وحدها، بل إن آسيا لا تخلو من أمثال هذه الأوضاع وفي الهند العجب، وكذلك في مخيمات اللاجئين الأفغان على الحدود الباكستانية. ومن ذلك أيضاً مناطق جنوب شرق آسيا التي لم تنفض غبار الحروب عن كاهلها بعد، وأمريكا اللاتينية عموماً (الجنوبية والوسطى) لا تخلو أيضاً من هذه النماذج، بل إن كثيراً من المناطق لا يتصور أنها يمكن أن تكتنف جوعاً بين أهلها، ولكنها ليست مستثناة من هذه الظاهرة.

الاستعمار.. والتنصير والجوع:

مضى على استعمار كثير من البلاد أكثر من مائة سنة، وخرج كثير من المستعمرين بعد أن تركوا بصمات واضحة على المستعمر كان لها تأثير واضح في التخلف التنموي للبلاد التي خضعت للاستعمار، فيما يُهتم بالسيول والسدود وتصريف مياه الأنهار مثلاً، ولعل ذلك كان قصداً من المستعمر؛ لأنه يخدم غرضاً استعمارياً بعيد المدى. كما ساعد الاستعمار على انتشار جمعيات التنصير التي قدمت من أوروبا وأمريكا مستترة تحت شعارات إنسانية بحتة لا علاقة لها بدين أو عقيدة أو لون أو عرق.

يذكر أنه في إفريقيا وحدها ما لا يقل عن مئة ألف (١٠٠,٠٠٠) بعثة تنصيرية تزاوّل أعمالها في مختلف بقاع القارة الخضراء. يتبع هذه البعثات التنصيرية ما يصل إلى عشرين ألف مؤسسة تعليمية (٢٠,٠٠٠) على مختلف المستويات، وينضم إلى هذه المؤسسات التعليمية ما يقرب من خمسمائة ألف طالب وطالبة (٥٠٠,٠٠٠) معظمهم من المسلمين، كما أن هذه البعثات التنصيرية تدير ما مجموعه خمسمائة مستشفى (٥٠٠) ما بين متنقل وثابت.

وقد ذكر لي شخصياً أحد الذين زاملوني في دراستي الأخيرة وهو من إحدى بلاد إفريقيا أنه يرغب في الحج وزيارة بيت الله والحرم المدني، فاستغربت منه ذلك واسمه «جون» فقال لي إن والديه كانا مسلمين ولكنهما خضعاً للتنصير فاعتنقا النصرانية وعلمونا إياها، ولكني لا أزال أطمع في العودة إلى الفطرة.. وأنشطة بعثات التنصير مشهورة معروفة لدى الكثيرين، وتشجع على ذلك كثير من الهيئات التي تمنح الجوائز التقديرية العالمية وذلك مثل منح الأم «تيريزا» جائزة علمية نظراً لخدماتها المتصلة في «العناية ببني الإنسان»!!

ولعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا إن بعضاً من البعثات التنصيرية كان لها دور بارز فيما وصلت إليه القارة الإفريقية من حالة يرثى لها، فقد ذكرنا عند الحديث عن المجاعة أن أساليب مناخية مثل الجفاف وأساليب أخرى منها السياسة قد ساعدت على هذا الوضع، بل دعت إليه، ففي الخمس والعشرين سنة الماضية شهدت إفريقيا وحدها اثنتي عشرة حرباً (١٢)، منها الأهلية ومنها ما هو شبه أهلي مع مناطق مجاورة. وقد حصل فيها ما لا يقل عن سبعين انقلاباً عسكرياً وغير عسكري، كما تم في إفريقيا وحدها وفي غضون الأعوام المذكورة ثلاثة عشر اغتيالاً (١٣) لزعماء الدول فقط. وعدم الاستقرار هذا بأشكاله المختلفة له ولا شك الأثر الفعال في وصول سكان بعض دول إفريقيا إلى ما وصلوا إليه.

موقفنا نحن من الجوع:

تربطنا بإفريقيا والعالم كله روابط أقوى من أن تخضع لموازن بشرية ونحن ندين بدين حق يدعو للإغاثة والعون والنصرة والبذل والعطاء وهذا واقع اضطلعت به بلادنا بقيادتها الرشيدة، فبذلت وما زالت تبذل الكثير من أجل العون والمساعدة، وعلى جميع المستويات العربية والإسلامية وعلى مستوى الدول الفقيرة.

● ● منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) تساهم مساهمة فعالة في سبيل التغلب على هذه المشكلة، وصندوق التنمية العربي المختص بإفريقيا كذلك يقوم بدور بارز في هذه القضية، وبنك التنمية الإسلامية لا يبخل أبداً في أن يقوم بدوره خير قيام، وكل هذه المنظمات التي لنا بها علاقة مباشرة تساهم في جانب المشروعات بعيدة وقريبة المدى، فضلاً عن المساعدات المباشرة التي تبادر إليها المملكة منفردة دون إعلان وتباه.

ولذلك جاءت اللفتات الإنسانية من قِبَل المسؤولين في بلادنا حين
دعوا دعوات متكررة وفي مواقع مختلفة ومناطق متعددة - دعوا أهل الخير
من المواطنين إلى المساهمة الفعالة بالنقد والعينية وسهلوا على من
يريدون أن ينقذوا القارة الخضراء عمليات التبرع، إذ لا يعدو الأمر
الرجوع إلى البنوك المنتشرة في المناطق وترك ما تجود به النفس مع هذه
البنوك لتعطى إلى أيد أمينة تقوم بإيصال النقود والعينات إلى المستحقين
مباشرة. ويبقى دور المواطنين في هذه الفترة الزمنية القاسية أن يتذكروا أن
مجموعات البشر يلاقون الولايات في سبيل الحصول على لقمة عيش
يتقاسمونها بينهم!

الندوة العالمية للشباب الإسلامي

إحدى الهيئات العالمية التي تسعى لخدمة الإسلام والمسلمين في أي مكان كانوا. تأسست سنة ١٣٩٢ هـ الموافق ١٩٧٢ م، ومقرها مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية. وتعد أول هيئة إسلامية عالمية متخصصة في شؤون الشباب. وتضم الآن أكثر من أربعمئة وخمسين «٤٥٠» منظمة شبابية وطلابية منتشرة في أنحاء العالم.

وكأي هيئة عالمية أو محلية رسمت الندوة أهدافاً تسعى إلى تحقيقها وبدأت في مسيرة التحقيق، ومن هذه الأهداف:

- ١ - خدمة الفكر الإسلامي الصحيح على أساس من التوحيد الخالص.
 - ٢ - تعميق أسباب الوحدة الفكرية وتقوية روابط الأخوة الإيمانية بين الشباب المسلم.
 - ٣ - تعريف العالم بالإسلام بجميع الوسائل وعلى أوسع نطاق.
 - ٤ - توضيح ودعم الدور الإيجابي للشباب والطلاب في بناء المجتمع الإسلامي.
 - ٥ - دعم منظمات الشباب الإسلامي في جميع أنحاء العالم والتنسيق بينها ومساعدتها في تنفيذ برامجها.
- ومن الوسائل التي تتبعها الندوة في سبيل تحقيق هذه الأهداف:

- ١ - تأليف الكتب .
 - ٢ - نشر الكتب التراثية وأعمال المؤلفين المسلمين والكتابة في الصحف والمجلات العالمية .
 - ٣ - توزيع الكتب والمجلات والنشرات .
 - ٤ - دعوة الشخصيات العالمية لزيارة البلاد الإسلامية .
 - ٥ - تنظيم المؤتمرات والاجتماعات .
 - ٦ - إقامة المخيمات للتدريب والتعارف .
 - ٧ - إنتاج أفلام تلفزيونية إسلامية .
 - ٨ - العناية بالفنون والآداب ذات الطابع الإسلامي .
 - ٩ - إصدار نشرة دورية .
 - ١٠ - الاستعانة بالهيئات والجمعيات الإسلامية الأعضاء .
 - ١١ - الدعم المادي والمعنوي للمنظمات الشبابية الإسلامية .
- وتتطلع الندوة إلى تحقيق الإنجازات التالية :

- ١ - تيسير نشر القرآن الكريم وترجمة معانيه .
- ٢ - التوسع في توفير الكتاب الإسلامي .
- ٣ - توفير مكتبة إسلامية صوتية ومرئية .
- ٤ - التوسع في تنفيذ البرامج الخاصة بتدريب الشباب .
- ٥ - التعاون مع الهيئات الحكومية والأهلية في مشاريع الخدمات العامة .
- ٦ - برامج لتبادل الزيارات بين الشباب .
- ٧ - برامج لرعاية الشباب المغترب .
- ٨ - إنشاء دار إسلامية عالمية للثقافة والتأليف والنشر .
- ٩ - إصدار مجلات إسلامية للأطفال .
- ١٠ - إصدار مجلات للشباب المسلم .
- ١١ - إصدار مجلات نسائية .

١٢ - الإسهام في مجالات الرياضة البدنية.

والأهداف والوسائل والتطلعات كلها تنطلق من نظرة طموحة وعملية في الوقت نفسه، فالمنظمة ساعية الآن في تحقيق أهدافها، ويقوم عليها شباب نحسبهم من خيرة شباب المجتمع، ويحتسبون عملهم ويعتمدون على الله تعالى أولاً ثم على الدعم المادي والمعنوي والتشجيع الذي يلقيه من دولة المقر المملكة العربية السعودية والمسؤولين فيها.

النشرات:

والحق أن من يريد التعرف على الندوة وإنجازاتها يحتاج إلى مزيد من الشواهد، إلا أنني أقف هنا وقفة سريعة على الهدف الثالث وهو تعريف العالم بالإسلام بجميع الوسائل وعلى أوسع نطاق، حيث أجد أن الندوة قد أسهمت إسهاماً فعالاً ومؤثراً في التعريف بالإسلام من خلال نشرات مطوية تحوي معلومات سريعة وموثقة وبسيطة في الوقت ذاته حول موضوع واحد دقيق من الموضوعات الإسلامية. فهناك نشرة عن الإسلام، وأخرى عن القرآن الكريم، وثالثة عن محمد ﷺ، ورابعة عن حقوق الإنسان، وخامسة عن الأنبياء وسادسة عن عيسى - عليه السلام - وهكذا، بالإضافة إلى التعريف ببعض قضايا المسلمين الراهنة، مثل قضية فلسطين والقدس وأفغانستان. كل هذه تكون باللغة العربية والانجليزية والأردية والتاغالو «الفليبين» والملاوية والأندونيسية وبعض اللغات الإفريقية. وتوزع هذه المطويات على نطاق واسع داخل دولة المقر وخارجها.

وتستفيد منها مجموعة العاملين الوافدين إلى البلاد فائدة جلية، وهي مدخل لهؤلاء للتعرف على الإسلام، ومن ثمَّ الدخول فيه، أما المسلم فيستفيد منها في تصحيح عقيدته ومفهوماته عن الإسلام، يصحب

هذا تطبيق صادق للعقيدة والمفاهيمات في هذا المجتمع، فيلتقي التعريف النظري بالواقع العملي فيزيد المسلم ارتباطاً بدينه، ويحمل معه هذا الدين الحق عندما يعود إلى بلاده، فيسمع منه الأهلون والقريبون منه خاصة أنه عاد من بلاد الحرمين الشريفين. هذه البلاد التي تنظر لها الأمة الإسلامية على أنها القدوة في تطبيق الإسلام على المستوى الفردي وعلى مستوى الدولة.

وأجد أن هذه المطويات التعريفية تؤدي أثراً غير يسير، وأنها الآن توزع بشكل جيد على مجتمعات العمال وعلى المؤسسات الصناعية والطبية والزراعية التي يكثر فيها العمال والفنيون غير المسلمين، ولعلّ مزيداً من التوزيع يتم في الوقت الذي نجد فيه الندوة العالمية للشباب الإسلامي تبدي استعدادها لتزويد كل الهيئات التي تطلب منها مثل هذه المطويات، وبعض الكتب المترجمة إلى لغات مختلفة. ويهم الندوة كثيراً أن تنصب جهودها في مصابها المرادة لها. وهذا بفضل الله شيء ملموس.

ولو لم يكن للندوة من الأهداف والوسائل والمهمات إلا هذا الهدف الثالث لقلت عنها إنها تقوم به على وجه مؤثر. ولعل العاملين على تحقيق هذا الهدف ينالون عليه من - الله تعالى - ما يستحقونه من الأجر والثواب. وعند الله المزيد.

المؤتمرات:

ومن وسائل تحقيق الأهداف للندوة عقد المؤتمرات وإقامة المخيمات، ولدى الندوة إسهامات في مؤتمرات محلية ومخيمات تدريب وتعارف تصل في مجملها إلى خمسين مؤتمراً أو مخيماً في العام الواحد.

وتعقد الندوة مؤتمرها العالمي العام كل ثلاث سنوات، وقد عقدت منه حتى الآن ستة مؤتمرات عالمية، خمسة منها في مدينة الرياض،

والسادس في كينيا. وكان المؤتمر الأخير الذي عقد في منتصف هذا العقد يدور حول الجاليات الإسلامية.

واللقاء السابع المرتقب سيكون في مدينة الرياض، وسيكون حول الوحدة الإسلامية، وسيعقد - بإذن الله - في العام القادم ١٤١١ هـ^(١). وتُعَدُّ الندوة اليوم العدة لأن يكون هذا المؤتمر وموضوعه المهم على المستوى الذي يتوقع من الندوة أن تكون عليه من حيث التهيئة للمؤتمر ومن حيث استقطاب الدراسات والبحوث حول هذا الموضوع.

الجيل المعاصر:

يقول رئيس الندوة العالمية للشباب الإسلامي السابق الشيخ حسن ابن عبد الله آل الشيخ - رحمه الله رحمة واسعة -: «إن جيلنا المسلم المعاصر يواجه الكثير من التحديات الفكرية والعقائدية وإن شبابه بصفة خاصة يواجه العديد من ألوان الغزو الثقافي ومن صور الحروب الفكرية التي تتسرب إلى صفوفه، وتنخر في كيانه. والشباب دائماً مستهدف ومقصود، فهو درع الأمة الواقى - بإذن الله - وهو عدتها وذخرها لمجابهة أعدائها المتربصين بها.

من أجل ذلك فكّر الحادبون على مصلحة العمل الإسلامي بصفة عامة، وعلى مصلحة الشباب المسلم بصفة خاصة، أن يعملوا لأن يقيموا كياناً إسلامياً قوياً متمثلاً في الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ينهض بعبء دعم منظمات العمل الشبابي الإسلامي في العالم، واستكمال أدواتها، وعونها في البلوغ بمستويات برامجها، وتدريب العاملين في حقل الدعوة الإسلامية إلى المكانة اللائقة بها...» من مقدمة الطبعة الأولى من كتاب قضايا الفكر الإسلامي المعاصر الصادر عن الندوة.

(١) عقد هذا المؤتمر في ماليزيا عام ١٤١٣ هـ.

مأساة الإغاثة...!!

إلى أي حد يمكن للمرء أن «يمسك أعصابه» ويهدأ؟! ومتى يستطيع إزالة التأثير الإعلامي السريع من خلال متابعتنا المحمومة لنشرات الأخبار والتحقيقات والتقارير التي تدوم لساعة كاملة في فترة إخبارية واحدة؟!

من المؤلم أن نطلع كل يوم على أخبار تدمي القلوب وتنغص العيش على العائشين. من المؤلم حقاً أن يكون مصير شعب يموت جوعاً في هذا العصر - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م - بسبب التشاحن بين فئتين سياسيتين، كل منهما يريد أن ينهش من تركة رجل عاث في الأرض فساداً وتركها لمن هم ليسوا على مستوى قيادتها.

في الصومال يموت يومياً ما يزيد على خمس وعشرين نفساً. هذه النفوس تموت أمام ناظري - نواظر الأبناء أو الآباء أو الأمهات أو الأزواج أو الزوجات - فتبيض العيون من الحزن، في الوقت الذي يتاجر فيه الآخرون بمواد الإغاثة ويسرقونها من السفن ليبيعوها في متاجرهم (شاهر ظاهر)، وفي الوقت نفسه الذي ينهبها الآخرون ليغذوا منها جنوداً يراد لهم أن يقتل بعضهم بعضاً.

ما الذي حل في الصومال ليمنع عن أهله كيس الرز وعلبة الزيت؟! ومن المسؤول المباشر على المدى البعيد عن هذه المأساة الإنسانية؟

ويبدو أن الوقت الآن ليس في محاسبة المسؤول المباشر على المدى البعيد بقدر، ما هو الوقت لمحاسبة المسؤولين المباشرين على مدى اللحظة والثانية. وليس الوقت كما يبدو مناسباً لمحاسبة المستفيدين من هذه المأساة، وأصدق القول إذا قلت إن هناك مستفيدين من مآسي الدنيا، وعلى رأس المستفيدين أولئك الذين «يتلقطون» الأطفال الجياع، يخطفونهم ليؤمنوا لهم كوباً من الحليب وكوباً آخر من الإيديولوجيات المنحرفة، ليعودوا بعد ذلك وتستمر على أيديهم المأساة..

ورغم أننا نتخطى القرن العشرين الميلادي ونشرف على الحادي والعشرين إلا أننا - العالم كله - ننقاد إلى مآسٍ تتلوها مآسٍ. ويبدو أن منطق القوة والسلاح هو اللغة التي يفهمها الآن بعض الناس حتى الحصول على حبة الرز ونقطة زيت الطعام تحتاج إلى «الكلاشنكوف». بمعنى أنه إذا أردت الحصول على حبة رز لأطفالك الجياع في بعض المجتمعات المنكوبة بأهلها. فما عليك أولاً إلا الحصول على بندقية لتحصل على الحبة!! عجب وأي عجب أن تصل بنا الأمور. نحن بني آدم. إلى أسوأ مما وصلت إليه الحال من الأنعام الأخرى.

وهل نملك إلا أن نتابع أحداث العالم من خلال أجهزة الإعلام، ولا نتفاعل مع هذه الأحداث؟ إنَّ الألم حقاً يعتصر القلوب، ولكن التعبير عن هذا الألم يأخذ وسائل عدة، وقد هيا الله تعالى القلم ليسهم في التعبير عن هذه الآلام، ويزيل عن النفس شيئاً من الأثقال التي تحملها، ولكن الذي لا يحمل القلم قد يبحث عن وسائل أخرى ليست بالضرورة محبة ليعبر بها عن قلبه المعصور.

في عام المجاعة حصل أن سرق بعض المسلمين من بعض المسلمين فما قام على السارقين الحد. وأخشى الآن في الصومال ألا يقتصر الأمر على مجرد السرقة من البعض/ السرقة المشروعة بعد أن

فشت السرقة القذرة التي لا تستحق قطع اليد فحسب، بل قد تأخذ حد
الفساد في الأرض، وأي إفساد أعظم من أن يموت أخي جوعاً وأنا أُمْنَع
عنه الطعام الذي هو بين يدي.

وإن حساب هذه الفئة المانعة عند الله شديد. ولعل القاريء الكريم
بعد هذا يعذر القلم عندما يفقد أعصابه. وكان الله في عون الجميع.

المجزرة في يوغسلافيا

ليس هذا حديثاً عن الوضع القائم الآن في يوغوسلافيا، إذ إنه وضع جائر عند كل الناس في الشرق والغرب على حد سواء، حتى أولئك الذين لم يكونوا يوماً ما متعاطفين مع القضايا الإسلامية التي تعصف بالامة نراهم اليوم يدركون أن الحملة صليبية بتصريح أصحابها في صربيا نفسها.

وهذا الحديث إنما هو وقفة مع كتاب ظهر سنة ١٤٠٤ هـ الموافق ١٩٨٤ م تحت هذا العنوان «المجزرة في يوغوسلافيا» ولا يعرف كاتبه ولا مكان نشره ولا ناشره وإن كان أسلوب الطباعة والتغليف قد يقودان إلى مكان النشر والناشر.

والكتاب يقع في خمس وخمسين صفحة، ولذ يصدق عليه أنه كتيب وليس كتاباً. وعلى أي حال فالكتاب/ الكتيب يتحدث أولاً عن وضع الأقليات المسلمة في شرق أوروبا. وفي هذه الوقفة تفصيل لموقف الشيوعية السياسي من الإسلام في شرق أوروبا، ثم الوضع السياسي في يوغوسلافيا حينما كان تحت حكم الحزب الشيوعي.

وفي الوقفة الثانية يتحدث الكتيب عن أوضاع المسلمين اليوم (١٤٠٤ هـ) في يوغوسلافيا، وفي وقفة ثالثة يتعرض الكتيب لحملة إرهاب جديدة ضد المسلمين في يوغوسلافيا - هذا كان سنة ١٤٠٤ هـ وما

قبلها - وفي هذه الوقفة عرض سريع ليوغوسلافيا والمسلمين . ووضع
يوغوسلافيا الاقتصادي والإرهاب الشيوعي ضد المسلمين .

وفي مقدمة الكتاب يقول مؤلفه : يخطيء من يظن أن شيوعية
اليوغسلاف أخف وطأً على المسلمين من شيوعية روسيا والصين
وغيرهما ، ويخطيء من يظن أن الحكومة الشيوعية في يوغوسلافيا تعامل
المسلمين هناك على أنهم مواطنون أو بشر عاديون .

ويخطيء من يظن أن يوغسلافيا دولة صديقة ، فهي كذلك طالما
كانت هي المستفيدة وهي لا تؤمن إلا بالمصلحة المادية لحسابها فقط .

إن يوغسلافيا استغلت سمعتها الطيبة في العالم الإسلامي والغربي
فاستفادت مادياً من ذلك ، وعملت داخلياً على محو الإسلام والمسلمين
فأعدمت عشرات الآلاف من المسلمين ، وشوهت مئات الآلاف منهم ،
واليوم (١٤٠٤ هـ) تعاود حملتها المسعورة لتبيد نخبة الشباب المسلم .

ثم يؤكد الكتيب على أن هذه الممارسات ليس بالضرورة وليدة
الشيوعية ؛ لأنه يرى أن الشيوعية لا تصل نسبتها من ١ - ٢٪ فقط ،
وتتلخص في الفئة الحاكمة ، أما البقية فتحكمها الثقافة النصرانية وشيء من
الثقافة اليهودية .

ويذكر أن هناك «صفاء في الأمور» بين الشيوعية والمسيحية في
شرق أوروبا . ويدل ذلك على هذا الصفاء أنه في الوقت الذي تبيد فيه حكومة
بلغاريا الشيوعية المسلمين وتحول المساجد إلى متاحف نجدها تدعم
الوجود النصراني حيث تطلب من المسلمين تغيير أسمائهم إلى أسماء
نصرانية ، وفي صوفيا كلية للاهوت النصراني تعمل على تخريج
المنصرين ، وفي يوغوسلافيا نفسها كليتان للاهوت النصراني الأرثوذكسي
والكاثوليكي ، بالإضافة إلى انتشار الأديرة فيها والكنائس الضخمة مدعومة
من الفاتيكان مباشرة وبعلم الحكومة «الشيوعية» .

ويقرر الكتيب أن سكان يوغوسلافيا من اليهود لا يزيدون على ألفين ومع هذا فلهم نفوذ واضح في المجتمع اليوغوسلافي.

أمّا عن المسلمين في يوغوسلافيا فيذكر الكتيب (المجزرة في يوغوسلافيا) أن المسلم هناك مواطن من الدرجة الثالثة، لا يجد الوظيفة المناسبة، ولا يطبع كتبه ولا يعلم أولاده الإسلام، ويعد هذا المواطن دخيلاً على المجتمع اليوغوسلافي، وقد بيت الحزب الشيوعي في يوغوسلافية النية لإبادة المسلمين فيها. ويتدخل الفاتيكان وتتدخل دولة اليهود في فلسطين المحتلة إذا ما أهين مواطن يوغوسلافي ينتمي إلى الكنيسة أو إلى اليهودية، ولذا لا تكاد ترى نصرانياً، أو يهودياً مضايقاً إلا أولئك الخارجين عن القانون العام.

وقد قام الحزب الشيوعي بمصادرة الأوقاف الإسلامية الضخمة التي يصرف منها على المدارس الإسلامية والطلاب والمعلمين الذين يدرسون القرآن الكريم واللغة العربية. وفي المقابل لم يجرؤ الحزب على مصادرة أوقاف كنيسة واحدة. وعلى أي حال فالكتاب يسهب في أساليب المضايقات على المسلمين في مجالات التوظيف والتخصص والرحلة إلى الحج والأسماء والزواج والكلمات أو المصطلحات الإسلامية والمطبوعات الإسلامية من كتب ومجلات. وما يذكر هنا أن الشيخ ابن حسين جوزو قد اقتيد إلى السجن مباشرة بعد خطبة بمناسبة دينية قال في مطلعها: أيها الإخوة المسلمون، فرأت السلطة أن هذا اللفظ لا يطلق إلا إذ كان هناك تكوين سياسي وتنظيم حزبي!!.

ولا يقتصر هذا الاضطهاد على مسلمي يوغوسلافيا، بل إن المسلمين الموجودين فيها من عرب وغيرهم يتعرضون للمضايقات، فقد قبضت السلطة على عشرين طالباً عربياً وهددتهم بالفصل إن هم أعلنوا نشاطهم الإسلامي بين الناس، والسياح والزائرون من المسلمين لهم

نصيب من هذا التعت، فقد قبض على عدد كبير منهم وقدموا للمحاكمة .

يقول صاحب الكتيب بعد هذا كله ومثله معه : إننا نناشد الدول العربية والدول الإسلامية لوقف تلك المجازر ضد المسلمين الذين لا حول لهم ولا قوة، والذين هم تحت السيطرة التامة للشيوعيين منذ أربعين سنة، فهل يعقل أن يقوموا بمحاولة قلب نظام الحكم في دولة شيوعية بوليسية تعلم كم بيضة تبيض كل دجاجة في يوغوسلافيا .

إننا نناشد رابطة العالم الإسلامي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وندوة الشباب الإسلامي العالمي، ومؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية، والمجلس الإسلامي الأوروبي، وجامعة الدول العربية .

إننا نناشد كل الدول العربية أن تتدخل لتنقذ أرواح مئات المسلمين من الموت وإنقاذ مئات الأسر من التشرد ومئات الزوجات من الترميل وآلاف الأطفال من التيتم .

إننا نناشد الجميع لرفع هذا الأمر للجنة حقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية، ومحكمة العدل الدولية، وتمضي المناشدة للتدخل قبل فوات الأوان .

ومع هذا كله فقد «كانت» يوغوسلافيا تتمتع بسمعة طيبة في العالم الثالث وفي دول عدم الانحياز عامة والدول العربية والإسلامية بخاصة، وعلاقتها بالدول العربية (معظمها) وطيدة تتوجها صداقات بين الزعماء ولها سفارات في معظم الدول العربية، ولها علاقات تجارية كذلك وتقوم بتنفيذ مشروعات تنموية في دول عربية في الشرق والغرب !! .

حتى المسلمون الذين اعتنقوا الشيوعية من ١ - ٢٪ من نسبة الشعب لم تقم لهم قائمة في الحزب الشيوعي فقد اغتيل (كمال بيدج) وهو مسلم (كان مسلماً) فتشوع (صار شيوعياً) وكان أحد نواب الرئيس (تيتو)

والمرشح الأول لخلافته على الحزب والدولة، وكان متحمساً للحزب والدولة إلى درجة انصياحه بتسمية أولاده بأسماء صربية فكانت نهايته مع هذا تفجير الطائرة التي كان يستقلها وأقفل الحادث دون تقرير رسمي أو بيان من الدولة.

وبعد:

فهذه صيحة مرّ عليها الآن حوالى تسع سنين وكأنها تمهيد للصيحة الكبرى التي نعيشها الآن، وقد هب لها الناس من مسلمين وغير مسلمين إلا أولئك المتفرجين ممن ينطبق عليهم على أقل الأحوال قول القائل «أنا لم أردّها ولم تسؤني».

ترى لو كتب لنا هذا المؤلف لمجهول في فن تصنيف الكتاب المعروف من خلال حروف الكتاب، لو كتب لنا الآن عن المجزرة الجديدة في يوغوسلافيا ترى ماذا سيقول. لقد انقشع رسمياً الحزب الشيوعي وبدأ الناس - بعض الناس - يتنسمون معنى للحرية في كثير من المجتمعات، ولكن المسلمين في يوغوسلافيا - وليس في البوسنة والهرسك فحسب - يدفعون الثمن غالياً جداً.

وفي الوقت الذي نجد فيه الهيئات الإسلامية واللجان الشعبية تهب لنصرة المسلمين في يوغوسلافيا ونجد بعض الحكومات الإسلامية تتخذ خطوات عملية لتحديد موقفها من الوضع في يوغوسلافيا من حيث إيقاف جميع صنوف التعامل الدبلوماسي والتجاري والثقافي وغيره، في هذا الوقت نفسه نجد إخواننا في يوغوسلافيا يتطلعون إلى المزيد، فهم في محنة مشهودة برز فيها معالم المؤامرة في وقت نحاول فيه استبعاد نظرية المؤامرة.

ويتطلع المسلمون بعامة ومسلمو يوغوسلافيا بخاصة إلى بلاد الخير تطلعاً خاصاً لنصرتهم بكل الإمكانيات المعنوية والمادية على المستويات

الدولية والمحلية والشعبية، إيفاءً منا بواجبنا تجاه إخواننا في كل مكان وفي يوغوسلافيا وغيرها من أماكن المحن الآنية والمتوقعة. وفق الله الجميع لنصرة جميع المسلمين في كل مكان من بلاد الله الواسعة، وكان الله في عون الجميع.

يوغوسلافيا.. يا أخت الأندلس...!

يروى الشيخ عبد الوهاب الطريري إمام جامع الملك عبد العزيز بالعليا أنه في يوم الخميس آخر أيام رمضان المبارك لهذا العام ١٤١٢ هـ في إحدى المدن اليوغوسلافية في البوسنة والهرسك خرج اثنان من المصلين من المسجد فكان المتطوعون الصرب في انتظارهما فقتلوهما أمام المسجد، فتقهقر المصلون إلى داخل المسجد، فتتبعهم الصرب في الداخل فقتلوههم ومثلوا بهم ثم صوروهم وهم على وضعهم فأرسلوا الصورة إلى قومهم الصرب، وقد حولوا هذه المجزرة في مصلحتهم مدعين أن المكان كنيسة وأن القتلى نصارى، وأن القاتلين من مسلمي البوسنة والهرسك.

ويذكر خطيب مسجد الملك عبد العزيز أن الصرب قد عملوا مثل هذا العمل على ضفاف نهر الفوجا الواقع جنوب شرق البوسنة والهرسك قد تلطخ بدماء ثمانية آلاف مسلم ذبحوا ذبحاً بالسكاكين، ولم يصب الذابحون بأذى سوى اثنين منهم تأثرا بوقع السكاكين على فخذيهما بينما كانا يذبحان أطفال المسلمين!! وكان هذا عام ١٩٤١ م. ولم يكن الرقم ثمانية آلاف بل أوصله البعض إلى ستين ألفاً من المسلمين.

هل انتهت الحروب الصليبية؟ وبدأ الحوار بين المسلمين

والنصارى، أم أن جمهورية البوسنة والهرسك تشهد اليوم مذابح وصلت إلى العاصمة سراييفو؟! وهل الحرب القائمة الآن في يوغوسلافيا ضد المسلمين هي حرب عرقية أو قومية؟ إذا لماذا يرسم قتلة المسلمين الصليب على صدور المسلمين المقتولين؟ والصليب ليس شعار الصرب القوميين، ولكنه شعار الصرب المنتمين دينياً إلى النصرانية.

واليوم نجد أن ستة ملايين مسلم في جمهورية البوسنة والهرسك مهددون بالإبادة الجماعية من قبل الصرب، لا أظن أن الحروب الصليبية قد انتهت، ولا أظن أن الحوار الفكري سيحل محل الحرب على المسلمين.

وهل يتحمل المسلمون جزءاً من هذا الذي يحدث لهم في كل مكان من أرض الله الواسعة؟! لقد تشرد البورميون المسلمون ولجأوا إلى بنغلاديش، وبنغلاديش هي أرض للاجئين من أبنائها، فليست بحاجة إلى مزيد من اللاجئين، والمسلمون في الهند يلاقون أصناف التنكيل من الهندوس والسيخ، والمسلمون في القرن الإفريقي يلاقون أصناف الاضطهاد من نصارى الحبشة، فهل يتحمل هؤلاء المسلمون جزءاً مما يحصل لهم؟ وهل نظل نبحث عن أسباب لهذا التنكيل والاضطهاد غير الأسباب الدينية؟

ليتنا نعترف أننا نُحارب في كل مكان لأننا مسلمون، وليتنا نعترف أننا بحاجة إلى أن نفهم العالم أننا لسنا خطرين على البشرية، بل إننا نحمل الخير للصغير والكبير.

الصليبية هي التي صورتنا للعالم أننا مستعمرون وأنا غزاة وأنا ضد الآخرين الذين لا يتفقون معنا في الدين.

والصهيونية هي التي صورتنا للعالم أننا إرهابيون، وأن مهمتنا هي تفجير المحلات واختطاف الطائرات واغتيال الزعماء السياسيين والدينيين،

وكننت لا أزال أقول إنه عندما أصيب الزعيم الروحي في الفاتيكان قالت وسائل الإعلام: إن الذين حاول قتله هو شاب مسلم يدعى محمد آغا، وعندما أصيب الزعيم السياسي الأمريكي في واشنطن رونالد ريغان لم نعرف إلى الآن هوية الجاني «جون هنلكي» الدينية.

لقد لمست الاعتذار للآخرين على حساب المسلمين أنفسهم في أكثر من مجال، بل إن هناك عدم اعتراف بالدافع الديني وراء كثير من الأعمال التي وجهت ضد المسلمين في القديم والحديث، وهناك في الوقت نفسه تأكيد على الدوافع الاقتصادية كما يقال في الحروب الصليبية إلى اليوم والدوافع العرقية في الحروب ضد المسلمين في الهند أو بورما أو الحبشة أو يوغوسلافيا اليوم، رغم أن أول ما يقوم به غزاة المسلمين هو إهانتهم في مساجدهم ومقدساتهم كالمصحف الشريف يمزق أو يحرق أو يهان بأصناف من أصناف الإهانة.

وعندما ندرك أن الذي حدث للمسلمين اليوم - كما الذي حدث لهم من قبل - إنما بدافع ديني فحسب، وعندها نحس بالبنیان المرصوص وبالجسد الواحد، وعندها نحس بأننا مسؤولون مسؤولية دينية وتاريخية تجاه إخوة لنا يضطهدون في كل مكان ونحن هنا ننعم - بفضل الله - بالأمن بكل أنواعه الديني والنفسي والبدني والاجتماعي والعائلي والصحي والغذائي. وعندما يرى المسلمون مجتمعنا يتطلعون إلى أن تكون مجتمعاتهم مثل هذا المجتمع، ولذا تراهم ينظرون إلينا نظرتهم إلى الراعي القادر على الرعاية قدرة روحية ومادية في الوقت نفسه، وهنا تكبر المسؤولية وتعظم على عواتقنا قادة ومواطنين.

إننا مطالبون بنصرة إخواننا في كل مكان، نبحث عن أسباب ضعفهم فنعمل على تقويتهم ونكون لهم عوناً على مجموعة من الأعداء الماديين والمعنويين، نسعى إلى رفع مستواهم في مجالات الوعي العقدي عندهم

بما نملكه من وعي عقدي نجزم أنه سليم، وعندها نصل جميعاً إلى العزة التي تكفل الله بها لدينه ولمن ينصر دينه.

وتعلن الهيئة الإسلامية العالمية للإغاثة عن حاجتها إلى عشرة ملايين ريال للإسهام في نصره إخواننا في البوسنة والهرسك، وتفتح الهيئة لها مكتباً في سرايفو وآخر في مدينة كرواتية للعمل على تخفيف حدة الوقع على إخواننا المسلمين هناك، وهذا المبلغ ليس كبيراً، إذ إنني أعتقد أن رجل أعمال واحداً من المحسنين قادر على دفع هذا المبلغ، وبخاصة أنه يعلم سلفاً أن الله تعالى سيبارك له فيما أنفق وفيما أبقى . . ولذا فإنني لا أستغرب أن يتم جمع أكثر من عشرة ملايين ريال خلال الأسبوعين المضروبين موعداً لجمع المبلغ؛ لأن واقع إخواننا في البوسنة والهرسك يتطلب أكثر من هذا المبلغ، ولأن رجال الخير في بلد الخير جاهزون للنصرة بالمال إذا ما وجدوا الجهات الموثوقة التي تؤمن على هذه المبالغ.

وعلىنا الاستعداد المادي والذهني لأزمات لاحقة تحل بالمسلمين في أماكن هم فيها أقلية، بمعنى أن قدرتهم على القرار محدودة في مجتمعهم، وإن كانت أعدادهم كثيرة، فالدعاء بالعون للمخلصين المتابعين لشؤون المسلمين يشرحونها للناس ويبينونها للمحسنين الراغبين في البذل في سبيل الله لا طمعاً في تخفيف ضريبة أو إشادة على رؤوس الأشهاد، وإنما رغبة في الأجر والثواب من الله تعالى.

وهذا العمل جزء عاجل من جهود مضية ينتظرها المسلمون منا في كل مكان، وهناك جهود طويلة المدى تتعلق بالتربية والتعليم والمشروعات والإسهامات والاستثمارات وغيرها تنتظر كذلك منا، فكان الله في عون أهل هذه البلاد قادة ومواطنين، وكان الله في عون الجميع.

البوسنة والهرسك...!!

إخوان لنا هناك ليسوا بعيدين عنا في المبادئ، ولكنهم بعيدون عنا في الاتصال، إذ مرَّ عليهم زمن طويل وهم تحت وطأة الاستبداد الشيوعي المفروض عليهم، وعندما انقشعت هذه الشيوعية ووجدوا أنفسهم أمام الحرية في العبادة وفي الانتماء، استيقظت الصليبية الحاقدة ممثلة في الصرب والكروات على حد سواء وأعملت فيهم التقتيل والنهب وهتك الأعراض، تماماً كما فعلت بهم الفعلة نفسها قبل واحد وخمسين عاماً عندما ذبح من المسلمين ما يزيد على ستين ألفاً من الرجال والنساء والأطفال، بل والشيخ حتى أصبحت مياه نهر الفوجا تسيل دماً.

هذا في الوقت الذي نرى فيه صمتاً شبه مطبق من الجانب الغربي، حتى هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن يصرح بعدم إمكانية إرسال قوات لحفظ الأمن، وكأنه ينتظر حتى يباد أكبر قدر ممكن من المسلمين وتسوى المساجد بالأرض فتصبح أرض البوسنة والهرسك، بيد الصرب والكروات، فيقوم نزاع بين الصرب والكروات فيتدخل مجلس الأمن ويرسل القوات لحفظ الأمن.

لقد جاء المندوبون منذ أكثر من سنة وهم يهيئون لهذه الحالة التي يمر بها إخواننا في يوغوسلافيا المتفككة، ولكننا على ما يبدو كنا ننتظر

الحدث لنبدأ الحديث عنه والاستعداد له والتصدي بقي فيه، وكنا مشغولين بمشكلاتنا القريبة التي حطت على رؤوسنا أثقل من الجبال عندما اعتدى علينا جارنا وهدد ديارنا.

والآن ونحن نعيش نشوة النصر في أفغانستان نلتفت إلى اليسار فنجد أن المسيرة في الدعم المادي والنفسي مستمرة في البوسنة والهرسك، وفي بورما وفي الجمهوريات المستقلة، وفي الصومال، وفي السودان، وفي الفلبين، وفي أماكن أخرى وجبهات قد تفتحت أمامنا أبوابها في القريب العاجل وهي قريبة منا، ولكننا إلى الآن لم نجر الاستعدادات اللازمة لها.

الحروب الصليبية لم تنته بعد، ولا يتوقع لها أن تنتهي مهما ظهرت الدعوات إلى الحوار مع الثقافات الأخرى والديانات المحرفة والتيارات الموضوعة. ويمكن أن يقوم حوار مع هذه كلها ولكنه الحوار المبني على القوة وعلى العلية وعدم الهوان.

وإنه لما يؤسف له أن أوروبا مع ما وصلت إليه من حضارة، ومع ما فهمته من دينها الذي يسيطر عليها من تحريف واستبداد باسم الدين لا تزال تتغذى من أحقاد الماضي ولا تزال تنظر إلينا نظرة حقد وعداء.

السنغال.. والحساسية العرقية

في الوقوف عند أحداث السنغال وموريتانيا لا بد من البحث عن الشرارة التي أدت إلى هذا الوضع المؤلم بين البلدين . وكان أبو ذر الغفاري - رضي الله عنه - قد قال لبلال بن رباح - رضي الله عنه - يا ابن السوداء، فعلم الرسول - عليه السلام - بما قاله أبو ذر فذكر الرسول أبا ذر بأن هذا الموقف موقف جاهلي: «إِنَّكَ امرؤ فيك جاهلية»، وليزيل أبو ذر الغفاري هذه الوصمة يضع وجهه على الأرض ويطلب من بلال أن يدوس عليه بقدمه . وكان الرسول - عليه السلام - يذكر أصحابه بأن يتركوا النعرات القبلية أو الإقليمية ويقول عنها دعوها فإنها منتنة .

هل كانت الشرارة التي أدت إلى الأحداث المؤسفة نعمة جاهلية . نحن نعلم أن الدعوة إلى البربرية في شمال إفريقيا قد برزت في السنين الأخيرة مع بروز الدعوة إلى القومية، ولكنها خبت عندما بدأ الإدراك أن الدعوة إلى القومية لم توفق وأن الدعوة إلى الوحدة الإسلامية - التضامن الإسلامي - هي الدعوة التي يمكن أن تجمع القومية كلها تحت ظل شريعة مصابة بعمى الألوان فيما يتعلق بالبشر .

لعل الأمر ليس بهذه السهولة ويحتاج إلى تحليل أعمق . ولذا ظهر في الأفق رأي يقول بأن لليهود أثراً في الفتنة بين مواطنين من موريتانيا

وآخرين من السنغال. ولا بد أن ندرك أنه متى ما ذكر اليهود في أية مشكلة فإن علينا عدم التشكيك في أثرهم فيها. لا بأس من البحث والتقصي والتأكد والتوثيق، ولكن مهما يكن من مشكلة ويذكر أن لليهود يداً فيها فلا نملك إلا أن نقبل مبدئياً بهذا الرأي.

ويؤيد هذه الفكرة البحث في النشاط اليهودي في إفريقيا الذي لا يزال قويا ليس على المستوى الرسمي فحسب، بل على المستويات التجارية والعلمية والثقافية. وقد علم اليهود يوماً أن شيخاً لقبيلة بإفريقيا قد قبل الإسلام ديناً وتبعه أبناء قبيلته عموماً. فأرسل اليهود إليه من يقدم له الدعم في سبيل أن تكون وجهته قاديانية بدلاً من أن تكون إسلامية خالصة. لم يدعوه إلى الرجوع عن رأيه، ولكنهم حاولوا إقناعه بأن يرضى بالتسمية ويتبنى أفكاراً هي من الإسلام أبعد من اليهودية الحقبة إليه.

وما دام أن هناك مراكز ثقافية يهودية في إفريقيا أو غير إفريقيا فسيظل هناك تأثير يهودي على الرقعة التي تغطيها هذه المراكز. وكنت في مؤتمر للتعريف بالإسلام لغير المسلمين فأخبرني المنظم لهذا المؤتمر، الأستاذ رالف برابنتي من جامعة ديوك في ولاية كارولاينا الشمالية أن اليهود يرسلون ممثلاً أو اثنين لمثل هذه المؤتمرات للتعرف على ما يقال عن اليهود فيها. يستمعون فقط ولا يعترضون أو يسألون، ولكنهم يكتبون التقارير عن مجريات المؤتمر، وترسل خطابات للجامعات التي تحدث أفراد من أعضاء التدريس فيها بسلبية عن اليهود. وهذا يجري في الولايات المتحدة الأمريكية التي تتزعم الدعوة إلى حرية التعبير وحرية الخطابة والحرية كلها.

وعليه فإن المرء لا يستبعد الأيادي اليهودية وراء الأحداث في السنغال مع وجود الأرض المخصصة لهذا التأثير، فالشرارة الصغيرة لا تحدث ناراً في الحطب الرطب. وعلى أي حال فلا بد من دراسة هذا الحدث والعمل على التقليل من حدوثه مرة أخرى وفي أماكن أخرى.

مخيمات .. ومخيمات

بدأت كلمة .. مخيمات .. تتردد كثيراً في جميع الأوساط الإعلامية وغيرها، وللمخيمات معايير تختلف باختلاف نوعيتها والنشاط الذي يقام فيها والغرض الذي من أجله أقيمت، إلا أن الملاحظ أن الجانب السلبي القائم على الفاقة والجوع والتشرد يغلب على هذه الكلمة عند إطلاقها، وعليه فإن هذا الجانب كثير جداً في مناطق مختلفة من أنحاء العالم، وهذه مجموعة من النماذج التي تمثل هذا الجانب السلبي الكامن وراء المخيمات.

١ - فالمخيمات الفلسطينية أريد لها أن تقوم ليتركز فيها من بقي عنده بارقة أمل للعودة إلى أرض الوطن. فيسلط على هؤلاء صنوف من الأفكار والمناحي التي تقود في النهاية إلى أن يكون بأسهم بينهم بدلاً من أن يكونوا أشداء على الكفار رحماء بينهم. وعليه فإن الشعارات في هذه المخيمات كثيرة جداً بأسماء بارقة مثل: الوطنية، والشعبية، والديمقراطية وتراب الأرض ونحوها، لكنها تحاول أن تبعد الاتجاه السليم بادعاء أنه من دعوات الرجعية، وكل من يوحى لهم بذلك أطلقوا عليه صفات متعددة على رأسها الرجعي. فالرجعي - في واقع الأمر - هو ذلكم الشخص الذي سيعيد الأرض لا للأرض

ولكن لما ومن في الأرض، ولكنه في نظرهم غير ذلك بعد أن أعمتهم الشعارات المذكورة آنفاً، وعليه تبقى هذه المخيمات فريسة لهذه الأفكار والمناحي التي لا تكتفي بالسيطرة الفكرية، بل تتعدها إلى تشجيع الانحراف الخلقي على اعتبار أنه من مقومات هذه الأفكار.

٢ - في باكستان وعلى الحدود الأفغانية مخيمات للمهاجرين من الأفكار التي فرضت على الأرض فأثر الناس ترك الأرض في سبيل الحفاظ على الخلفية التي يدينون بها. وبما أن هذه الظاهرة جديدة على باكستان وأفغانستان لذلك لم تفش فيها شعارات جديدة بسبب تمسك أولئك الناس بمبدأ يصرح به الكبير منهم والصغير، وهم في حقيقة الأمر يدركون أنهم يحاربون لأنهم مسلمون بالدرجة الأولى وليس لأنهم أفغانيون كما حاول البعض إشعارهم بذلك.

٣ - وفي إفريقيا، وبخاصة في شرق إفريقيا، تقام المخيمات لمن بقي فيهم رفق من حياة حيث لا يصل إليها إلا نسبة ضئيلة ممن فروا «بجلودهم» من الجفاف والجوع والقحط ثم المرض. هذه المخيمات الإفريقية ليست مأساة إفريقية وإنما هي مأساة للإنسانية جمعاء، وليست مأساة الهياكل العظمية التي تعتمد على بعضها في الوصول إلى المخيم لتعطى قطرة من حليب أو حبة من أرز أو قمح، هي مأساة للإنسانية إذا علمنا أن دولة عظمى آثرت أن تتخلص من فائض محصولاتها الزراعية بأسلوب عجيب وذلك لتبقي على اتزان السوق.

٤ - وفي الولايات المتحدة الأمريكية - ويسمونهم أرض الحضارة - توجد مخيمات من نوع غريب يخفى على الكثيرين، حتى على أولئك الذين عاشوا هناك فترة من الزمن. فقد أفردت الحكومة قطعة خاصة

من الأرض «كومت» فيها أصحاب الأرض ممن يسمونهم الهنود الحمر، وصارت تغدق عليها من «قنينات» الخمر ولفافات المخدرات وشجعت عدم الخروج من هذه المخيمات. ولذلك نجد أن مطالبة الهنود الحمر بحقوقهم في مجرد العيش أصبحت اليوم في عداد النواذر لدى الناس، وأصبح التراث الهندي الذي تنتجه نساء المخيمات تحفاً تباع للسائح في قارة الطريق، وأصبح الرجل «الهندي» الذي هرب من المخيمات وشق طريقه علمياً ومادياً رجلاً من الرجال الذين ينظر إليهم كما ينظر إلى الرجل الأسود الذي وصل إلى مرتبة علمية مرموقة، ينظر إليهما نظرات استغراب لا تخلو أحياناً من الإعجاب بتغلب هؤلاء على الظروف التي فرضت عليهم.

٥ - وفي فلسطين المحتلة مخيمات خاصة بالذين يقدمون حديثاً من اليهود ويستوطنون هذه الأرض الطيبة، تقام لهم المخيمات التي تقوي فيهم الانتماء إلى الأرض، وهي دورات تدريبية في الفلاحة والصناعة في ظاهرها ولكنها تخفي وراءها أسلوباً فيه محاولة زرع التأقلم لدى هؤلاء الذين جاءوا من كل مكان وفيه إشعار لهم بأنها أرضهم الحققة، وأن الأرض التي قدموا منها إنما كانت مخيماً لهم ريثما يعودون إلى «الوطن القومي اليهودي» في فلسطين.

والحياة في هذه المخيمات - ويدعونها - الكيبوتز - عامة، فالأكل جماعي، والعمل جماعي، والتدريب جماعي، والمحاضرات جماعية، يتخرج اليهودي منها وقد صمم على أن يجعل هذه الأرض أرضه بعد أن «أحياها» بعدما كانت أرضاً بوراً في زعمهم.

وبعد فهذه نماذج خمسة تبرز نواحي ما وصل إليه الإنسان في معاملته لأخيه الإنسان، على أن هناك نماذج أخرى تنحو المنحى ذاته يضيق بها هذا المقام. ومع هذا فهناك نماذج للمخيمات لا تتصف بهذه

الصفات التي بدت على النماذج الآنفة الذكر، بل هي مخيمات يشع منها
النور وتصل المعرفة ويتخرج منها الرجال، ولهذه النوعية من النماذج
مجال آخر - إن شاء الله - .

رابعاً: بين الأقليات والجاليات

مخيمات النور

تعرضنا في المقال السابق لنماذج من مخيمات يفوح منها البؤس ويخيم عليها الشقاء، وتبرز ناحية من النفس البشرية التي سيطر عليها الشيطان واتخذ منه مطية يحقق عليها رغباته، ويحقق من خلالها قسمه الذي أخذه على نفسه ﴿قال: فبعزتك لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين﴾.

بعد هذا كله نريد أن نقف على نموذج فريد من المخيمات، هذا النموذج يشع منه النور، وترفرف عليه الملائكة بأجنحتها، فيه قوم يذكرون الله فيذكرهم الله فيمن عنده، وفيه فتية آمنوا بربهم فزادهم الله هدى. تلکم المخيمات التي تصقل المواهب وتنير الطريق لكثيرين ممن اختاروا الخير وبحثوا عنه. يديرها رجال مخلصون يبحثون عن رضا الله فيما يعملون ويرجون فيه وجهه.

لو زرت واحداً من هذه المخيمات التي تنتشر اليوم في كل مكان لوقر في صدرك أن «الدنيا لا تزال بخير» وأن رسول الله ﷺ صادق فيما قاله كله، وأن طائفة من أتباع محمد - عليه الصلاة والسلام - لا تزال على الحق منصوره. يأتي ذلك في وقت بدأ اليأس يدب فيه إلى نفوس الكثيرين، مع أن اليأس لا يصل إلى قلب المؤمنين. ويأتي ذلك في وقت

بدأ فيها الشباب يغلبون جانب المتعة لما يحيط بهم من مغيرات لها كثيرة، كلها تتفق على أسلوب واحد فيه صد للشباب من عمل الخير وفيه دعوة دائبة لهم للانخراط في خدمة الشيطان.

تأتي هذه المخيمات لتنزع الشباب من الهاوية وتدلهم على الحق وتدعوهم إلى اتباعه في معسكر للشبيبة تتمثل فيه أعمال الخير قدوة للشباب من قبل إخوانهم الذين يتقدمونهم سناً.

والذين يجهلون مثل هذه المخيمات لا بد أن يقفوا منها مواقف سلبية؛ لأنهم لا يعلمون ما يدور فيها، بل إن البعض يعتقد أن هذه المخيمات أسلوب من أساليب إشاعة الفتن في المجتمع من خلال عزل فئات من الشباب عن «الجو العام» الذي يعيشه المجتمع.

فالجو العام في أمريكا وغرب أوروبا - مثلاً - قائم على المتعة والمصلحة الشخصية بين الشباب، ويكفي أن تناقش شاباً غير منتم لتجد مصداق ما يذكر هنا. فالقوم قد فقدوا جل مقومات الاعتدال، وصاروا يعيشون على المتعة والمصلحة الشخصية. ولا أرى أن هناك من ينازع في هذا. ومثل ذلك ينطبق على الكثير من المجتمعات التي فقدت مقومات النبل والكرامة التي تملئها عليهم تعاليم ربانية لم ترسمها يد ذي مصلحة أو حاجة، بل خطتها حكمة إلهية صنعت هذا الكون وجعل الإنسان فيه خليفة، وحملته أمانة عرضت على السموات والأرض والجبال فأبت أن تحملها وأشفقت منها فحملها الإنسان. ووسط هذه المجتمعات تقام مثل هذه المخيمات التي تحاول أن تحمل الأمانة وتحملها سواعد الشباب وحكمة العلماء وحماس المخلصين ونزاهة الرجال وبراعة المقصد. فلا غرو أن يشع من هذه المخيمات النور، ولا غرابة أن تصل فيها أذهان الشباب، ولا عجب أن توجد نماذج حية تحمل الخير بين ظهرانيها وتنشره على الباطل فتدمغه.

إن فكرة مخيمات الشباب المسلم تقوم على زرع الرجولة في الرجال، فهي بهذا معسكرات تربوية وتثقيفية وتعليمية في آن واحد. فالعبرة في النظر إلى برامج المخيم شاملة، وليس في جلوس الشباب أمام عالم يحاضر أو ندوة تطرح فيها قضية للنقاش. بل إن هذا المخيم يبدأ مع أذان الفجر حيث يؤدي الشباب صلاة الفجر جماعة - رغم ما يعلو بعض الوجوه من عيون غشاها النوم - ثم تبدأ البرامج المختلفة من تمارين رياضية ومسابقات ثقافية وأنشطة بين الأسر، ويتخلل ذلك المحاضرات والندوات، ولا تخلو من جانب التسلية والترفيه، ومخيمات تدار بهذا الأسلوب لا بد لها أن تخرج الرجال العمالقة الذين يحملون الأمة على أكتافهم.

في بعض مجتمعات المسلمين تنظم مثل هذه المخيمات للفتية الذين يمرون بمرحلة خطيرة في حياتهم فتعمل هذه المخيمات على توجيه الرغبات وكبح جماح الاندفاع والحد من الغلو في الدين أو التفریط فيه أو الإفراط فيه. وهذه المخيمات التي تكتنف مثل هذه الفئة من عباد الله لها أسلوب خاص في إدارتها يقوم على المعاملة الكريمة لشباب يمرون بمثل هذه الفترة من حياتهم. وهذه الفئة من الشباب تواجه عادة عدم فهم لما يقومون به في مثل هذه المخيمات. سوء الفهم هذا نابع من الوالدين الذين لم يعتادوا على مثل هذه الأساليب في حياتهم الغابرة. ولا يجيزون أن يخرج الفتى وهو بهذه السن لينفق الأيام والليالي بعيداً عنهم، في وقت يعتقدون فيه أنهم خير من يفهم ظروف ابنهم ورغباته وميوله وأحاسيسه بل وأفكاره. يضاف إلى ذلك نزعة الأبوة والأمومة الكامنتين فيهم ورغبتهم في أن يزوا أبناءهم بينهم. هذه تؤدي بهم إلى أن يقفوا مواقف غير مريحة تجاه انخراط أبنائهم في مثل هذه الأنشطة، خاصة إذا كانت تتخلل أيام الدراسة المنهجية التي تتأثر بذهاب الأبناء في مخيمات بعيدة عن

المدرسة. ولا يلام الآباء الذين لم يعتادوا على مثل هذا، وهم بحاجة إلى التوعية والتذكير بأهمية مثل هذه المخيمات وتأثيرها المباشر والبعيد. وكثيراً ما يقتنع الآباء وتقتنع الأمهات حينما يضعهم الشاب أمام الأمر الواقع ويبرز لهم البديل الذي يمكن أن ينهجه كل شاب لم يوفق في ارتياد المخيمات والمساهمة فيها والانضمام إليها.

مخيمات النور هذه تملأ الأرض شرقاً وغرباً، فهي - والله الحمد - لا تقتصر على بلاد المسلمين فحسب، بل تعدتها إلى بلاد فيها أقليات مسلمة، فالمخيمات التي تعقد في البرازيل تعقد مثلها مخيمات في هونج كونج واليابان، بل وفي الصين. وتجلب لها مجموعات العلماء والمفكرين المسلمين من كل مكان. وهي ظاهرة صحية أثبتت جدواها بدليل الإصرار على القيام بها، وبدليل ازدياد أعدادها وأعداد من ينضمون إليها.

وكثيرون ممن يرتادون المخيمات اليوم كانوا قبل ذلك ممن لا يتوقعون أن يمرروا عليها مروراً، وذلك لأنهم لم يعلموا ما يدور بها، وعندما شاركوا فيها بتأثير صديق أو زميل مرة واحدة ورأوا المجموعات من الشباب منتظمة يحترم بعضهم بعضاً ويتفانون في خدمة بعضهم بعضاً، عندما رأوا ذلك رأي العين، وعندما صفت الآلاف من الشباب في بلاد خيم عليها الظلام صفّاً جميعاً خلف إمام واحد يصلون الفجر، اقتنع هؤلاء بهذه الفكرة وأضحوا من دعايتها والحاثين عليها والجالبين إليها أصدقاءهم وزملاءهم الآخرين، خاصة أن هذه المخيمات ربما أقيمت في فترات العطلات الرسمية التي يحتفل فيها أهل البلد من غير المسلمين بمناسبة من المناسبات الدينية التي تفرح لها الأجراس ويدار فيها البخور نهاراً وتقام فيها المآتم ليلاً، في مثل هذا الجو تقام مخيمات النور فتستيقظ قلوب وقلوب وتتأمل أذهان وأذهان، وتتفكر عقول وعقول

بحكمة الله في خلقه، وعندها يدرك الكثيرون أن هذه المخيمات إنما أقيمت وتقام لتساهم في إنقاذ جيل الأمة المسلمة من ضياع وانحراف وتدهور يهدد شباب العالم، وتخطط له أياد خفية تعمل ليل نهار في نشر الرذيلة في مجتمعات العالم بما فيها مجتمعات المسلمين. وقد صرح أحد رجالات هذه الأيدي الخفية أن إسرائيل لن تقوم لها قائمة ما دامت فلول شباب المسلمين تتزاحم في المساجد حول خطيب الجمعة في مدينة زادت فيها المآذن على الألف وضافت المساجد فيها بمرتاديها من الرجال والشباب.

لا عيد في ميروت..!!

على بعد ثمانين ميلاً شمال العاصمة الهندية «نيودلهي» وفي ولاية أوتاربراديش تقبع مدينة ميروت «بالميم» ويقتطنها خمسمائة ألف نسمة (٥٠٠,٠٠٠) من المسلمين والهندوس وغيرهم من الطوائف الأخرى. وبين المسلمين والهندوس مناوشات قديمة تعود إلى ما قبل الاستقلال. وكانت باكستان الشرقية «بنغلاديش» وباكستان الغربية محاولة لحصر المسلمين في هاتين الولايتين وإعطاءهم الاستقلال الكامل دولة ذات سيادة تامة. ونزح كثير من المسلمين إلى باكستان الإسلامية وكان محمد علي جناح أول زعيم مسلم للدولة الإسلامية في شبه القارة الهندية.

ولم ينزح كل مسلمي الهند إلى الدولة الإسلامية في باكستان، ولعله ومنذ عام ١٩٤٧ م والهندوس يشعرون أن لا مكان للمسلمين في الهند، وكان هذا الشعور واضحاً من خلال مجموعات من الاستفزازات ضد المسلمين في الهند قبل ذلك التاريخ وبعده.

والمشكلة تتفاقم في «ميروت» بالميم وفي دلهي القديمة حيث تصل هذه الاستفزازات إلى حد نثر الرعب بين المسلمين، حتى في بيوت الله والناس يصلون يدخل عليهم الهندوس ويطعنونهم من الخلف. وتحاول الجمعيات الإسلامية في الهند وباكستان والمملكة العربية السعودية

والأردن وفي كل مكان أن تلفت نظر الحكومة من خلال سفرائها إلى ما يدور في ميروت ضد المسلمين. ويؤكد الأستاذ جسر بن عبد العزيز الجاسر في زاوية أضواء بالجزيرة (١٤٠٧/٩/٢٩ هـ العدد ٥٣٥٣) أن «رجال السلطة يؤازرون الهندوس في حملتهم للانتقام من الأغلبية المسلمة في ميروت ودلهي...». ولم يقف لفت نظر الحكومة على الجمعيات بل هبت الحكومات الإسلامية إلى إبداء استيائها لما يحصل للمسلمين في هذه البلاد عموماً. وللاستاذ الجاسر تعليق في الزاوية ذاتها ليوم الأحد (١٤٠٧/٩/٢٧ هـ العدد ٥٣٥١).

وفي بريطانيا أدان اتحاد المسلمين الهندي عمليات القتل التي تمارس ضد المسلمين وناشد جمعيات حقوق الإنسان التدخل المعنوي في سبيل إتاحة الفرصة للمسلمين في الهند ليؤدوا شعائر دينهم وقيموا صلاة عيد الفطر بسلام. والذي يبدو أنه لن تكون هناك صلاة عيد في ميروت، ولن يكون هناك عيد في ميروت، كما لم يكن عيد في كثير من البلاد التي يلقي أهلها ما يلقاه مسلمو ميروت.

وليس المهم هنا أن تعلن الأرقام الحقيقية لعدد الضحايا من القتلى والجرحى، ولكن المهم أن المسلمين هناك قد فقدوا نعمة الأمن، إذ يكفي أن يكون المرء هناك مسلماً لينال ما يناله على أيدي هذه الطوائف.

والذي يبدو أن القضية هذه لا تخضع للحلول السريعة، فتدخل القوات وحظر التجول وتفتيش البيوت بحثاً عن الأسلحة غير المصرح بها وغير ذلك من الإجراءات إنما هي وسائل مؤقتة لإخماد الفتنة إلى أجل. والقضية تحتاج إلى حل جذري فيه شيء كبير من «العقلانية» التي تبدو واضحة لكل رجل أو مفكر عادي خال من أي تأثيرات سياسية أخرى.

ولست من الخبرة ولا من حقي أن أذهب أكثر مما يتوقع من شخص بعيد، ولكن الذي يبدو من كل هذا أن المملكة المتحدة أو

(بريطانيا العظمى) كان لها الدور الفعال في هذه التركيبة الطائفية في الهند. وقد ورثت هذه الدور عن شركة الهند الشرقية قبل الاستعمار. ولا بد أن ندرك أن للمستعمر أيادي خفية بسطها أثناء نفوذه، وما ترك البلاد إلا وقد عمل على أن تظل هذه البلاد وكل البلدان التي كان يستعمرها في حاجة له.

وليس أولى من تنفيذ هذه الاستراتيجية من إيجاد مشكلات اجتماعية وقلقل طائفية بين سكان البلد الواحد مما ينتج عنه ما نتج عنه في البلاد التي يعيش فيها أكثر من طائفة.

والموقف «العقلاني» والنظري هنا هو محاولة النظر في هذه المشكلات من منظور محلي بحيث تترك المؤثرات الجانبية والأجنبية خارج هذه النظرة. والموقف العقلاني أيضاً يوحي بأنه في بلد غير مسلم وفيه مسلمون لهم أسلوبهم المميز في التعامل مع الحياة عموماً ومع الآخرين، يملي هذا الأسلوب عليهم دينهم الذي ارتضوه وحرى بالآخرين والحكومة على رأسهم أن يحترموا هذا الأسلوب ما دام أنه لا يتعارض مع التعاليم العامة للدولة. ولا نعلم أن الإسلام يتعارض مع أنظمة الدول غير المسلمة إلى درجة أن يثير المسلمون فيها القلاقل ويستفزوا غيرهم عليهم. ولكنهم ينتفضون عادة عندما يهانون في دينهم الذي يمثل معنى وجودهم في هذه الحياة.

وهكذا كانت المشكلة في ميروت حيث اعتدى أحد الهندوس على امرأة مسلمة في الشارع وكان ما كان مما لا يزال قائماً من فتنة لم تكن الأولى من نوعها، ويبدو أنها لن تكون الأخيرة كذلك.

كاهانا يهدد..!

وما دمنا عند الحديث عن مشكلات المسلمين لا يغيب عنا ما يلقاه

المسلمون في فلسطين المحتلة. ومن وراء ذلك كله يخرج المرء بمواقف صعبة جداً في مفهوم الإنسانية. واليهود لهم دور كبير في خرق المفاهيم الإنسانية والشواهد على ذلك كثيرة شهدت بها الحروب التي مرت بالمنطقة ولا تزال تشهدها ساحة فلسطين. والغريب أن دولة بكاملها تسمي نفسها إسرائيل تحاول في الأيام الأخيرة التضييق الاقتصادي على المواطنين العرب المقيمين في فلسطين، فهي تحدد الكميات المتوقعة منهم زراعتها، وهي تقلص من مساحة الأرض المسموح بزراعتها، وهي تقلص كميات المياه المصروفة لهذه الزراعة، وهي تقلل من المرشدين الزراعيين بين المزارعين العرب، وهي تحجب عن المزارعين العرب الإعانات التي تمنح لغيرهم والآلات التي تدور على مزارع الغير من حراثات وحصادات وآلات أخرى فيظل المزارع العربي يستخدم الدواب في ذلك كله. وفوق ذلك كله تحدد الحكومة كميات المحصول المسموح ببيعها، وتتبع ذلك من خلال التفتيش المستمر في الأسواق لمعرفة مصدر المنتجات المبيعة.

وهذا نوع ولا شك من أنواع الإرهاب لا يقل عن تحذير مائير كاهانا الأخير عدداً كبيراً من التجار المسلمين في منطقتي الود وعقبة السريا، ومطالبتهم بإخلاء محلاتهم التجارية بحجة أن هذه المحلات من ممتلكات اليهود!

وعلينا ألا ننسى بقر بطون الحوامل وسحب أجساد الأبرياء في جهتين متقابلتين، وأنواع أخرى من الإرهاب المنظم لعل من آخرها موت جنين في بطن أمه التي تعمل في جامعة الخليل الإسلامية بعد أن قذف أحد الجنود اليهود قنبلة مسيلة للدموع انفجرت على مقربة من الموظفة وكان نتيجتها موت جنينها في بطنها.

والجنرال أموس يارون كان أحد مهندسي مذبحه صبرا وشاتيلا عام ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م وقد كان على سطح إحدى البنايات وهو يشرف على

المذبحة . هذا الجنرال رقي في العام الماضي إلى رتبته الحالية وعين
ملحقاً عسكرياً بحصانة دبلوماسية في السفارة اليهودية في واشنطن .
وذلكم نوع من المكافآت التي يلقاها هؤلاء نتيجة ما يقدمونه لدولتهم من
ضحايا الحق اليهودي في محاولة لضمان وجود هذا الكيان المصطنع ،
ومهما يكن من أمر فهيئات له أن يضمن وجوده ما دام يناقض تماماً فطرة
الله التي فطر الناس عليها .

مثالان من المسلمين لم يوفق أصحابهما في أن ينعموا بالعيد ،
ولكنهم لم ولن ييأسوا من فرحة العيد فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم
الكافرون .

الجاليات في المجتمعات المسلمة..!!

تعيش في المجتمعات المسلمة مجموعات غير مسلمة، مختلفة في انتماءاتها العقدية، منها ما هو جزء من التركيبة الاجتماعية فيتمتع بحق المواطنة الذي يتمتع به كل مواطن، وإن طغى التجمع غير المسلم في مجتمع فذاك مخالف للتصور السليم، ولكنه حاصل الآن بتأثير من الاستعمار القوي «الإمبريالية» الخارجية.

وفي المجتمع المسلم المتماشي مع التصور السليم تعيش هذه المجتمعات غير المسلمة وتخدم هذا المجتمع بطرق مختلفة. ويهملنا هنا تلكم الجماعات غير المسلمة المستقدمة إلى مجتمع مسلم قصداً للقيام بعمل مهني أو فني أو حرفي. وهذا غالب في المجتمعات المسلمة الغنية الناهضة القليلة العدد من السكان كما هو الحال في منطقة الخليج. ومن عاش في هذه المنطقة أو زارها أدرك بحق بروز هذه الظاهرة.

وغالبية الجاليات الفنية والمهنية والحرفية تقدم إلى المجتمع من آسيا، شرقها وجنوب شرقها، ومنها المسلم وهذه تنال حظاً في تطبيق الإسلام على نفسها ما أرادت ذلك، ومنها غير المسلم الذي يحتاج إلى أن يدرك خلفية المجتمع الذي يعيش فيه ليعمل.

وعندما كثرت هذه الفئة وزادت عدداً رأى بعض أهل الخير من

الدعاة إلى الله أنه على المجتمع واجب الدعوة إلى الله في هذا الوسط .
فاهتم الطيبون وبدواً برامح للدعوة عن طريق الدروس المنتظمة
والمحاضرات المنقطعة وترجمة الكتب الموثوقة الموثقة . وعن طريق
متابعة من يدخل في الإسلام من خلال هذه الدروس والمحاضرات
والترجمات الموجهة إلى حديثي العهد بالإسلام ، ويزيد الاهتمام بهؤلاء
عندما تنظم لهم رحلات إلى مكة المكرمة والمدينة النبوية قصداً إلى
العمرة أو الحج أو كليهما بمكة المكرمة والمشاعر ، وقصداً إلى زيارة
مسجد رسول الله ﷺ في المدينة النبوية .

والغرض من إثارة هذا الموضوع هو أن هذه الأعمال إنما تدخل في
الأعمال التطوعية ، وإن كانت تحت إشراف مؤسسة دعوية فإنما هذا يأتي
من قبيل الدعم المتواصل الذي تقوم به هذه المؤسسة أو تلك ، ولكنها لا
تتحكم في هذه الأنشطة إدارياً أو مالياً . وإنما يقوم عليها رجال - نحسبهم
من المخلصين لله - ممن يبحثون عن رضا الله من خلال تبليغهم عن نبينا
محمد - عليه السلام - ولو آية . ويدعم مشروعاتهم فاعلو الخير الذين
يدركون أهمية هذا العمل ويحتسبون به الأجر والثواب من الله .

ومثل هذه الأنشطة مطلوبة في المجتمع المسلم وغير المسلم ،
فالناس يبحثون عن الحق ، ويبحثون عن يدلهم على الحق بالحكمة
واللين والرفق . ولا تنقصها الإدارة الناجحة ، ولا ينقصها الرجال والنساء
المخلصون والمخلصات ، وإنما هي بحاجة ملحة إلى الدعم المعنوي ثم
المادي ، فهي لا تقوم بواحد منهما فحسب ، بل بهما كليهما ، تقوم
وتستمر في الدعوة فتزيد من سواد المسلمين من خلال أولئك الأشخاص
الذين يعلنون إسلامهم بأعداد مرتفعة - والله الفضل والمنة - .

وهي بحاجة إلى أن تظل أنشطة خيرية من تلکم المؤسسات التي لا
تسعى إلى الربح . وإنما يقوم بها من يقوم عليها على سبيل التطوع سعياً
إلى الوصول إلى الهدف المذكور سلفاً .

وهي تشق طريقها بنجاح بدليل التوسع في الأنشطة على المستوى الأفقي حيث كثرت المكاتب وتوزعت على المدن الكبار في المنطقة، وربما وجد أكثر من مكتب للدعوة في المدينة الكبيرة الواحدة. وتلكم خطوة من خطوات تتوقع منا نحن المسلمين في سبيل نشر الإسلام، والوقوف أمام التحديات الكثيرة التي تواجه المسلمين اليوم، وهم يحاولون الوقوف على أقدامهم، فتحية للرجال العاملين، وكان الله في عون الجميع.

هيئة الأقليات المسلمة..!!

الإسلام - بفضل الله - في انتشار مستمر وسريع هذه الأيام بفضل الوعي الديني لدى المسلمين جماعات وأفراداً، وهذا الانتشار السريع هو ما يحاول البعض أن يطلق عليه مصطلح «الصحوة الإسلامية».

وانتشار الإسلام في بلاد غير المسلمين لا يقل سرعة عنه في بلاد المسلمين، بل ربما فاق الأول الثاني؛ لأن بعض بلاد المسلمين لا تريد لهذا الانتشار أن يكون أصلاً، ناهيك عن سرعته واستمراره. وإذا تحققت هذه الدعوى فإن الحاجة إلى دعم مشروعات الأقليات المسلمة خارج البلاد الإسلامية تزداد بسرعة تفوق سرعة الانتشار نفسه.

ويظل الاهتمام بالأقليات المسلمة مرهوناً بالوعي الفردي أو الوعي غير المنظم، فنجد جامعة من الجامعات العربية الإسلامية تهتم بالأقليات المسلمة فتنشئ لهم مركز دراسات فيها، ولكن هذا المركز يصاب بشيء من الخمول لا يجاري فيه سرعة انتشار الإسلام في بلاد غير المسلمين، والسبب هو أن الوعي الفردي الموجود سالفاً لم يعد موجوداً الآن بحكم التغيير الدوري الذي يطرأ على كثير من الجامعات، وعلى كثير من الأفراد.

وعقدت الندوة العالمية للشباب الإسلامي مؤتمراً عن الأقليات

خرجت بمجموعة طيبة من البحوث والدراسات والتي أفضت إلى توصيات لا يبدو أن شيئاً منها فعلاً قد أخذ طريقه إلى التنفيذ، وذلك لأن الأمر ليس مقصوراً على «التوجه الأكاديمي» للجهود بقدر ما هو مفتقر إلى الإدراك العام لمحنة الأقليات المسلمة في العالم.

وتحت هذا العنوان نشر الكاتب الإسلامي محمد عبد الله السّمّان كتاباً عن الأقليات المسلمة في العالم، وقد صدر عن دار الاعتصام سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م وشمل في تحليله الأقليات المسلمة في آسيا وفي الغرب. وأراد أن ينهي التحليل بمخرج من هذه المحنة اشترطه بمرحلتين:

الأولى: توافر وحدة سياسية قوية للعالم الإسلامي.

والأخرى: خطة للعمل بعد توافر المرحلة الأولى. وكأنه اشترط للمرحلة الثانية تحقق المرحلة الأولى. وواقع الحال يدل على عدم قرب تحقق الوحدة السياسية في العالم الإسلامي، ناهيك على أن تكون وحدة قوية، ولكن المرحلة الثانية المتعلقة بوضع خطة للعمل ممكنة من خلال قيام هيئة «خيرية» مركزة على الأقليات المسلمة تستطيع أن تجمع شتات المعلومات عن الأقليات وتحديث هذه المعلومات بما فيها البيانات الإحصائية، وتكون المتحدث الرسمي للأقليات أو الجاليات، ويقصد بالمتحدث الرسمي هنا الاقتصار على جوانب تبني المشروعات، وليس بالضرورة التعبير عن آراء الجاليات في الأحداث السياسية وغيرها مما يعصف بالامة الإسلامية منذ أن بدأت تحاول الوقوف على قدميها.

ولعل هذه الهيئة تقوم بدور المنسق كما يعمل الآن البنك الإسلامي للتنمية وصندوق التضامن الإسلامي، رغم الفارق في أن الهيئة المهمة بالأقليات ستكون هيئة مستقلة «خيرية» لا تنتمي إلى أي دولة من الدول التي يتوقع أن يأتيها الدعم الرسمي والشعبي منها.

وليس القصد هنا رسم سياسة أو لائحة نظام لمشروع لم ير النور بعد، ولكنها الاحترازاات التي تنفي عدم التحمس لمثل هذه الفكرة وعدم السعي إلى البدء فيها في بيئة كثر فيها الجمعيات الخيرية التي بدأت تؤتي ثمارها على المستوى العالمي لولا ما عصفت بالأمة من فتنة هي الآن توارىها التراب. ولعل السعي إلى دراسة هذه الفكرة يدخل في المفهوم العام للاهتمام بأمر المسلمين ممن هم منهم، وكان الله في عون الجميع.